تنبيــه هــام: إن هــذه الجــريـدة تتضمـن آيـات من القــرآن الكــريم فــالـواجـب عــدم امتهانــها

قال سبحانه وتعالى:

«قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ»

يوسف 108.

السبيل

خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وقال : هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن يساره وقال : هذه سبل على كل سبيل شيطان يدعو إليه ثم قرأ :

«وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»

حديث صحيح

جريدة أسبوعية مستقلة شاملة تصدر مرة في الشهر مؤقتا ـ المدير المسؤول: إبراهيم الطالب ـ رقم الإيداع القانوني: 2005/0096 ـ العدد 14 ـ 07 شعبان 1427 هـ الموافق 01 شتنبر 2006م ـ الثمن 5 دراهم

على هامش اكتشاف جماعة "أنصار المهدي"

الإرهاب في المغرب بين الاعتراف بالحقائق وبيان موقف المسلم من فكر الغلو والتطرف



. ملف العدد

القـوميـة العربية وجنايتها على الأمة الاسلامية

العدد 14 - 07 شعبان 1427 الموافق لـ 01 شتنبر 2006

كلمة العدد

حرب تتلوها حرب، وهزيمة تتلوها هزيمة، ودمار ينذر بدمار أكبر منه، وعندما يرتاح العدو ليعاود التقتيل، نقوم نحن بجمع أشلاء أطفالنا، وندفن قتلانا، فيخطب فينا بائعوا الكلام ليخدّرونا بقولهم إن جيش العدو قد هزم وأن أسطورة الجيش الذي لا يقهر قد سقطت، وعندما نقلب البصر في صفوفنا، لا نرى إلا التنازع والجري وراء المصالح، شعوب تريد المقاطعة والمقاومة، وحكومات تريد التطبيع والانفتاح بمعنى الانبطاح.

لقد بدأ التطبيع منذ ألغيت الخلافة الإسلامية ووقف أتاتورك أب العلمانيين في البلاد الإسلامية يقول وهو يفتتح جلسة البرلمان التركي عام 1923 م: "نحن الآن في القرن العشرين لا نستطيع أن نسير وراء كتاب تشريع يبحث عن التين والزيتون"، قال هذا الكلام قبل أن ينفذ ما أملته عليه بريطانيا، وفي 27 رجب 1342هـ 3 = مارس 1924م ألغى مصطفى كمال الملقب بأتاتورك الخلافة العثمانية، وطرد الخليفة وأسرته من البلاد، وألغى وزارتي الأوقاف والمحاكم الشرعية، وحوّل المدارس الدينية إلى مدنية، وأعلن أن تركيا دولة علمانية، وأغلق كثيرًا من المساجد، وحوّل مسجد آيا صوفيا الشهير إلى متحف، وجعل الأذان باللغة التركية، واستخدم الأبجدية اللاتينية في كتابة اللغة التركية بدلاً من الأبجدية العربية.

وبعد سقوط الخلافة، دعمت الدول المستعمرة التي اقتسمت فيما بينها كل العالم الإسلامي ربيبتها وصنيعتها نبتة السوء العلمانية، فما بقي بلد مسلم إلا واستولى عليه العلمانيون تحت شعار الاشتراكية والبعث ثم القومية، وصُنِعت الرموز وأشعلت الحروب، ورفعت الشعارات، والحصيلة نكبات ونكسات وهزائم، وفي كل مرة نجمع أشلاء أبنائنا وندفن قتلانا، وتتجذر الهزيمة في نفوس الأجيال.

العلمانيون مصرون على أن نضع أيدينا في يد الغرب وأن ننفتح على الآخر دون قيد أو شرط، وأن نقبله كما هو وأن ننبذ العنف والكراهية تجاهه، وأمريكا تتفهم تصرفات الكيان الصهيوني، بل وتعطيه الحق في تتبع ومعاقبة كل من يمس بأمنه، وتقول للمعتدى عليه لا بد أن تضبط نفسك.

وعندما يريد ساساتنا أن يكذبوا على أنفسهم باستصدار قرار يدين العدو ويخفض نسبة الاحتقان لدى شعوبهم، تستعمل أمريكا راعية السلام حق الفيتو الذي منحته نفسها، لتمعن في إذلال الحكام والمحكومين.

وتكبر المعاناة حتى تقض المضاجع، عندما ينادي العلمانيون وسط هذا الزخم من الذل والهوان، أن الحل مثلا في المغرب يكمن في اقتفاء أثر الغرب والعمل بمشوراته، حتى لا يقطع عنا قروضه، فنموت جوعا ونتعرض للسكتة القلبية التي تجنبناها عندما استدعينا حكومة التناوب، فماذا عملت حكومة التناوب؟

لقد كنا نشكو من ضعف القلب، فأصبحنا بعد أن وزعت أهم الحقائب الوزارية على الاشتراكيين نشكو من داء فقدان المناعة، فخير لنا أن نموت بالسكتة القلبية، من أن نموت بالأمراض التي ينشرها السياح الشواذ والسحاقيات وعبدة الشياطين في مهرجانات أصيلة وغيرها.

السبيل

قبل عبور السبيل

نبوءة رسول الله صلى الله عليه وسلم بتقليد المسلمين لليهود والنصارى

عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :"لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم، قلنا يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟!" أخرجه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة، ومسلم في العلم.

الحديث المذكور عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه علَمٌ من أعلام نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، يبين فيه صلى الله عليه وسلم حال كثير من هذه الأمة في اتباعهم سبيل غير المؤمنين، ومشابهتهم لأهل الكتاب من اليهود والنصارى، حيث جاء في روايات الحديث: "قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟" وهذا التشبيه في المتابعة (شبرا بشبر وذراعاً بذراع) وفي رواية: حذو القذة بالقذة، كناية عن شدة الموافقة لهم في المخالفات والمعاصي لا الكفر.

والقُذة بالضم: هي ريش السهم وهو دال على كمال المتابعة، ثم إن هذا اللفظ خبر معناه النهي عن اتباعهم وعن الالتفات إلى غير الإسلام، لأن نوره قد بهر الأنوار وشِرْعته نسخت الشرائع.

وقوله: "حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه" مبالغة في الاتباع لهم، فإذا اقتصروا في الذي ابتدعوه فستقتصرون، وإن بسطوا فستبسطون حتى لو بلغوا إلى غاية لبلغتموها.

والواجب على المسلم أن يلتزم شرع الله تعالى، وأن يتبع سبيل المؤمنين، ويترك مشابهة الكافرين، وأن يعلن الولاء للإسلام وأهله، وأن يتبرأ من الكفر وأهله.

وللأسف الشديد نرى المسلمين اليوم لا يعملون بمثل هذه الأحاديث الشريفة، وذلك لتفشي دعاوى التغريب ومحاكاة اليهود والنصارى في الغالب من وسائل الإعلام، والمناهج والمقررات الدراسية، والتي انتهجت منهجا مخالفا لما عرفه المسلمون منذ بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، حتى أصبحنا نسمع بقضايا زنا المحارم والأقارب تعرض على المحاكم، فضلا عن فشو الزنا بين مختلف شرائح المجتمع دون رادع ولا شاجب، وما ذلك إلا لعزوف الأمة عن قرآن ربها وسنة نبيها، واتباع سنن من يتربص بها من أعدائها.

إن كل الأدواء التي أصابت الأمة إنما خلصت إلينا عندما اتخذنا هدي الكتاب والسنة وراء ظهورنا واتبعنا ما يُشير به علينا الأوربيون والأمريكان سواء في ميدان التعليم أو الاقتصاد أو الثقافة أو الاجتماع، فأصبح لذلك حالنا كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم من حديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي". أخرجه الترمذي في سننه وحسنه الألباني.

ففساد مجتمعنا ما هو إلا نتيجة اتباع أهواء اليهود والنصارى، قال تعالى: "وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ" البقرة.

فهل من رجوع إلى الكتاب والسنة؟

العدد 14 - 07 شعبان 1427 الموافق لـ 01 شتنبر 2006

وشهد شاهد من أهلها!!

الصحفي البريطاني الشهير "روبرت فيسك"، هو واحد من الغربيين الأوروبيين الذين يمتازون بجرأة في التعبير، وهذا لا يعني طبعا أنه منحاز لقضايا العرب والمسلمين، بل هو يحاول إنقاذ الحضارة الغربية من السمعة السيئة والمصير السيئ على حد سواء، لأنه يرى أن ممارسات الحكومات الغربية تقود الحضارة الغربية والعالم إلى كارثة، وقد كتب كثيراً يؤكد هذا المعنى، ويرفض أشكال العدوان والقهر الذي تمارسه أمريكا وبريطانيا والكيان الصهيوني.

كتب الصحفي البريطاني روبرت فيسك في صحيفة "الاندبندنت" البريطانية على موقعها على الإنترنت "..إنه في الوقت الذي تودي الحرب في لبنان بأرواح المزيد من الأبرياء، يبدو أن هذا الصراع ليس له أي مغزى واضح ومحدد، اللهم إلا القتل للقتل..".

ويضيف إن الجسور سوف يتم بنائها والمباني يتم سوف ترممها ويعاد إصلاحها، ولكن المؤكد أن ثقة اللبنانيين في المؤسسات الديمقراطية التي تغدق واشنطن الكثير من الثناء عليها لن يتم إصلاحها بعد أن دمرتها عدم مصداقية الولايات المتحدة.

وتساءل "روبرت فيسك" في نهاية مقاله عما إذا كان "الإسرائيليون" يدركون أنهم يتسببون بتصرفاتهم في العدوان على لبنان في إضفاء الشرعية على الإرهاب، وأن ضرب الأهداف المدنية عن عمد يعني أننا نعطي المبرر للإرهاب المضاد الذي ربما يفرز 11 شتنبر جديد، وأن مشاعر الخوف والهلع التي كانت تصيب الشعوب العربية عادة بمثل هذا العدوان قد انتهت، فقد أصبحت تلك الشعوب تنبذ الخوف وترفض الخضوع، وعندما تتخلى الشعوب عن خوفها لا يكون من السهل أبداً بالنسبة لها أن تصاب بـ"فيروس" الخوف مرة أخرى.

مسئول فلسطيني يتهم الميليشيات الشيعية باستهداف الفلسطينيين في العراق

اتهم السفير الفلسطيني السابق بالعراق عزام الأحمد كلاً من "فيلق بدر" التابع لما يسمى المجلس الأعلى للثورة الإسلامية و"جيش المهدي" التابع لمقتدى الصدر باستهداف الفلسطينيين بالقتل لأسباب عرقية وطائفية.

وقال الأحمد في مؤتمر صحفي موسع حول مصير اللاجئين الفلسطينيين في العراق، نظّمه مركز "شمل" ومكتب اللاجئين في رام الله بالضفة الغربية، إن القوى العراقية القادمة من إيران، وتحديداً المجلس الأعلى للثورة الإسلامية برئاسة عبد العزيز الحكيم وجيش المهدي التابع للزعيم الشيعي مقتدى الصدر، قد ارتكبت أكبر أعمال قتل ضد الفلسطينيين بالعراق لأسباب عرقية طائفية.

وأضاف: "ليس كل الذين قتلوا بشكل عام في العراق قتلوا لأسباب سياسية بل معظمهم قتل نتيجة التعصب من قبل قوى طائفية ضد الفلسطينيين والعرب عموماً".

وأوضح الأحمد، طبقاً لوكالة أنباء "رامتان"، أنه تم توجيه رسائل للحكيم والصدر، وأجريت اتصالات مع الأخير مشيراً إلى أن الفلسطينيين معروف عنهم أنهم ليسوا طائفيين، ولا يفرقون بين مذهب وآخر ولا بين دين وآخر، على حد قوله.

وقد كشف أحد مراكز الأبحاث أن أكثر من مأساة وعمليات قتل وتعذيب تعرض لها اللاجئون الفلسطينيون في العراق على أيدي الميليشيات والعصابات الشيعية أتباع إيران، وهي الأعمال التي تندرج ضمن مسلسل الاضطهاد والعنف الطائفي الذي يتعرض له أهل السنة في العراق على أيدي هذه العصابات.

المدعي العام الليبي يطالب بتثبيت حكم الإعدام على الممرضات البلغاريات

طالب المدعي العام الليبي بتثبيت حكم الإعدام على خمس ممرضات بلغاريات اتهمن بتعمد إصابة مئات الأطفال الليبيين بفيروس "الإيدز"، على ما أفادت وكالة "فرانس برس".

وكان قد حُكم على الممرضات وطبيب فلسطيني - الموقوفين منذ 1999م - بالإعدام في السادس من مايو 2004 في بنغازي (شمال شرقي ليبيا) بتهمة نقل فيروس الإيدز أثناء عملهم في مستشفى المدينة إلى 426 طفلاً ليبياً توفي منهم 51 طفلاً حتى الآن.

وقد ألغت المحكمة العليا بليبيا في دجنبر الماضي أحكام الإعدام، وأمرت بإعادة المحاكمة في محكمة بطرابلس.

وتعد إعادة محاكمة الممرضات في ليبيا أحد العقبات أمام تحسن علاقات طرابلس مع الغرب، في وقت دخلت فيه واشنطن عملية استئناف العلاقات الدبلوماسية الكاملة بعد عشرات السنين من المقاطعة والعداء.

في حين تمارس دول غربية وواشنطن ضغوطاً كبيرة على النظام الليبي للإفراج عن الممرضات الخمس.

أمريكا في الطريق إلى السودان

هل دخلت المسألة السودانية منعطفاً جديداً، وهل آن الأوان حقاً لتنفيذ المخطط الأمريكي لاحتلال السودان عن طريق ما يسمى بقوات سلام دولية تنتشر في دارفور، الأهداف الأمريكية في هذا الصدد معروفة، ولكن التوقيت هو الذي لم يكن قد تحدد بعد.

تسعى الولايات المتحدة بوضوح لاستصدار قرار من مجلس الأمن الدولي استناداً إلى المادة السابعة من ميثاق تلك المنظمة بإرسال قوات دولية إلى دارفور، أو بمعنى آخر تنفيذ نوع من الاحتلال الأمريكي للسودان، يجعل الحكومة السودانية تحت رحمة الأمريكان، أو يؤدي عملياً إلى تفكيك السودان وتهديد مصر وتحقيق جزء من المخطط الأمريكي الصهيوني الذي وضعه اليمين الأصولي الأمريكي.

تقدمت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا بمشروع قرار إلى مجلس الأمن يقضي بإرسال 17 ألف جندي و3 آلاف شرطي إلى دارفور، ومن ثم خروج القوات الإفريقية الحكومية من هناك، ثم التلويح بمحاكمة كبار المسئولين السودانيين في محكمة جرائم الحرب، بدعوى القيام بأعمال منافية للقانون الدولي في دارفور، وهكذا تضطر الحكومة إلى الموافقة على نشر تلك القوات، ثم الضغط من جديد على الحكومة السودانية بمطالب أخرى لا نهاية لها، حتى ينتهي الأمر بتفكيك السودان أو خضوع كامل لحكومة الخرطوم للمخطط الأمريكي الصهيوني اليميني الأصولي.

حكومة السودان بالطبع في موقف صعب جداً، فهي حتى الآن ترفض القبول بالقوات الدولية، والرئيس السوداني عمر حسن البشير كان واضحاً حين أعلن أنه يفضل أن يكون قائد للمقاومة الشعبية في دارفور على أن يكون رئيس جمهورية تحت أحذية العسكر الأمريكي، ولكن الأمر بالطبع ليس سهلاً، فهذا الصمود يحتاج إلى دعم عربي حقيقي وحصري تحديداً لهذا التوجه، وأن تكف بعض الحكومات العربية عن نصيحة البشير بالقبول بالمشروع الأمريكي في مجلس الأمن حتى لا يواجه المجتمع الدولي، وكذا المطلوب اصطفاف كل القوى الشعبية والسياسية في السودان صفاً واحداً في مواجهة العدو الحضاري والتاريخي والديني والوطني المشترك وبدون ذلك فإن البشير مهما كان شجاعا لن يستطيع الصمود طويلاً.

الأرثوذكس والإنجيليون في مصر يتراشقون الاتهامات

تبادل الأرثوذكس والإنجيليون في مصر الاتهامات، حيث اتهمت مصادر كنسية أرثوذكسية الطائفة الإنجيلية بالوقوف خلف الانشقاقات التي يقودها عدد من رجال الدين المسيحي ضد شنودة الثالث بطريرك الكرازة المرقسية بمصر.

وادعت المصادر الأرثوذكسية - بحسب موقع "المصريون" - أن من هؤلاء الذين دعمهم الإنجيليون لإحداث انشقاق بين الأرثوذكس، القس "هابيل الأول"، الذي كان من أقرب المقربين من البابا، وانشق عليه نتيجة خلافات عقائدية حول علوم الكهنوت وطقوس الصلاة، وأسس طائفة جديدة تحت اسم "طائفة القديس بولس".

ومن هؤلاء أيضًا "مكسيموس الأول" الذي نصَّب نفسه أسقفاً للأقباط الأرثوذكس في مصر والشرق الأوسط.

وقد فجر "مكسيموس" مفاجأة من العيار الثقيل فور عودته من رحلة أمريكا، حيث أعلن بدء التصريح بالزواج للأساقفة الذين تم رسمهم كنوع من توفيق الأوضاع.

وقال إن زواج الأساقفة أفضل من الوقوع في تجارب الشيطان، في إشارة واضحة لفضائح القساوسة الجنسية من أمثال القس "برسوم المحرقي" الذي تم القبض عليه مسبقاً بسبب فضائحه الجنسية داخل الكنيسة.

ودللت المصادر على ذلك بقولها: إن أفكار هؤلاء القساوسة المنشقين على الكنيسة تتطابق مع أفكار الطائفة الإنجيلية من حيث التحرر الكهنوتي، ومسألة الزواج المدني وزواج الرهبان، لافتًا أيضًا إلى أن التهم التي توجّه إلى هؤلاء القساوسة في العادة أنهم أصبحوا إنجيليين، مستشهدة بما حدث مع القس "إبراهيم عبد السيد" قبل ذلك.

تعتبر الخلافات بين الأرثوذكس والإنجيليين بمصر قديمة، ويرى "شنودة" وأتباعه أن الإنجيليين خارجيين عن الملة المسيحية، وأنهم يمثلون خطرًا على العقيدة الأرثوذكسية، حيث يتحول الكثير من الأرثوذكس إلى الإنجيلية.

ألمانيا بدون شباب عام 2050

على الرغم من كونها أقوى دولة اقتصادية في أوروبا إلا أن تلك المكانة الإقتصادية ربما تتضاءل في الأعوام القادمة بسبب التناقص الواضح والمحتمل في أعداد الشباب الألمان.

فحسب ما أفادت به هيئة الإحصاء الاتحادية لتعداد السكان بألمانيا، فإن نصف السكان الألمان سوف تصير أعمارهم أكثر من 48 عاماً بحلول عام 2050م.

كما أن أعمار ثلث السكان في عام 2050م سوف تصل إلى 60 عاماً فأكثر مما يهدد ألمانيا بأن تصبح بلدا خالية من الشباب.

وأشارت الاحصائية إلى أن عدد السكان يصل حالياً إلى نحو 82,5 مليون نسمة وأنه على الرغم من انخفاض عدد المواليد الألمان إلا أن هذا الرقم مرشح للزيادة خلال العام القادم ليصل إلى نحو 83 مليون، ثم يعود بعدها ليصل في عام 2013م إلى نحو 75 مليون، ليعد بذلك أقل معدل له منذ عام 1963م.

جدير بالذكر أن معدل المواليد في ألمانيا، البالغ تسعة مواليد لكل ألف نسمة في العام، يعتبر من أدنى معدلات المواليد في العالم، حيث يقل عدد المواليد ويولدون أيضاً في وقت متأخر، وغالباً ما تلد النساء الطفل الأول في بداية الثلاثينات من عمرهن.

العدد 14 - 07 شعبان 1427 الموافق لـ 01 شتنبر 2006

هل سيطرت الحكومة العميلة على العراق..؟!
تقرير ميداني

أثارت تصريحات وزير الداخلية العراقي الموالي للاحتلال جواد البولاني قبل أيام حول تمكّن وزارته من بسط سيطرتها على المناطق الساخنة في العراق، ويقصد بها مناطق أهل السنة، وتمكّنها من القبض على قادة المقاومة العراقية، تساؤلات عديدة حول مصداقية كلامه،خاصة أن العراقيين السنة يعرفون جيدًا حجم تلك الوزارة في مناطقهم.

ولوضع القارئ داخل الصورة سوف نورد عدد المدن العراقية التي لا تخضع لسيطرة وزارة الداخلية، لا من قريب ولا من بعيد، وتعتبر خارجة عن سيطرتهم.

ففي الأنبار التي تشكل مساحة ثلث العراق بنسبة 32 من حجم الخارطة العراقية لا ذِكر ولا أثر لتشكيلات وزارة الداخلية، باستثناء الفلوجة التي تحوي حاليًا أقل من 300 شرطي من أهل المدينة، وهم على شفا حفرة كما يسميهم أهل الفلوجة، فهم يختفون تماما مع أي بيان مهما كان من أصغر فصيل مقاوم ولا يخرجون من مساكنهم.

أما الكرمة وأبو غريب والحبانية والخالدية والرمادي والكيلو 16 وهيت والبغدادي والمحمدي وجبة والطليحية وغيرها من مناطق الأنبار لا يوجد فيها ذكر أو اسم لتلك الوزارة، بل بها قوات من "المارينز"، وليس أي "مارينز"؛ حيث جُلبت إلى الأنبار الفرقة الخاصة الأمريكية التي تعتبر أقوى وحدات الجيش الأمريكي، وهي غير مسيطرة على الوضع هناك، بل تتعرض إلى ضربات أفقدتها صوابها وأنستها التدريبات التي تلقتها في بلادها.

وإلى العاصمة العراقية بغداد، والتي من المفترض أن تكون سلطة الداخلية العراقية في أوجها فهي على الوجه التالي:

- مناطق وسط بغداد أو مركز بغداد:

العامرية والدورة والأعظمية والغزالية والفضل لا وجود للداخلية فيها لا من قريب ولا من بعيد، باستثناء القوات الأمريكية الفرقة المسماه بـ"القذرة" وقوات الجيش العراقي المعروفة باسم لواء المثنى.

- مناطق جنوب بغداد وهي:

المحمودية واللطيفية وسلمان باك واليوسفية والبعثية والرضوانية وشيخ صلصال وجرف الصخر، فهي مناطق لا ذكر لوزارة الداخلية فيها، لكن هناك هجمات وصولات لهم تكون خاسرة مسبقًا، حيث يتكبدون خسائر جسيمة وينسحبون بعدها أمام فصائل المقاومة المختلفة.

- مناطق شمال بغداد:

الطارمية والمشاهدة والشط والتاجي والفلاحات مناطق خالية من وجود عناصر الداخلية.

- مناطق غرب بغداد:

وهي مناطق حدودية مع محافظة الأنبار، والتي تبدأ بمدينة "أبو غريب" وزوبع، وهي خالية من نفوذ وزارة الداخلية.

- أما مناطق شرق بغداد:

فهي مناطق شيعية؛ تبدأ بمدينة الصدر وتنتهي عند حدود ديالى؛ لذا فنفوذ الداخلية عليها نفوذ محكم.

وعن بقية مناطق ومحافظات أهل السنة كالموصل وسامراء وبعقوبة وكركوك؛ فإن وزارة الداخلية فيها ينطبق عليها المثل العربي: إن حضر لا يُعدّ، وإن غاب لا يُفتقد؛ حيث اقتصر عملها في أغلب هذه المدن على دعاوى السرقة والمشاجرات العشائرية والزواج والطلاق، وهي تخشى الدخول مع المقاومة على خط المواجهة، كما صرح بذلك العقيد الحقوقي أحمد حسين العزي قائد عمليات مركز التنسيق المشترك، حيث أعلن في يوم 2006/07/3 خلال مؤتمر صحافي له في بعقوبة: "أصبح بالإمكان القول: إن أربع ساعات فقط كفيله بإسقاط 62 من مساحة العراق إذا ما انسحب الأمريكيون، ونسبة الـ62 يقصد بها مناطق أهل السنة في العراق".

وبعد تلك المعطيات والأرقام الحقيقية المعروفة لدى جميع العراقيين بمن فيهم قادة الحكومة الشيعية لعل سائلاً يقول: إذن من أين تعتقل مغاوير الداخلية والشرطة الكم الهائل من السنة وتعذب بعضهم وتقتل أغلبهم؟!

يجيب عن ذلك العقيد محمد السامرائي من وزارة الداخلية، والذي تم طرده حسب المادة 345 والمتعلقة بتغيير إفادات المتهمين بضرب القوات الأمريكية وإطلاق سراحهم، والموجود حاليًا خارج العراق، حيث يقول: "أغلب من تعتقلهم الداخلية من أهل السنة هم من سكان المناطق المختلطة بين السنة والشيعة، مثل مناطق الشعب والكرادة وبغداد الجديدة والطوبجي والحرية... وغيرها من مناطق بغداد أو مناطق تكون عليها صولات على حين فجأة يتم فيها اعتقال أو سرقة مواطنين سنة ثم الانسحاب قبل أن تصل المقاومة إليهم.

والطريقة الثانية هي شراؤهم من وزارة الداخلية أو الميليشيات، كما حصل للشيخ أحمد العاني وستة عشر من المصلين معه؛ حيث باعهم أحد ضباط وزارة الدفاع للداخلية بمبلغ مادي، والحادثة معروفة طبعًا للعراقيين،وهي متداولة على الألسن في كل مكان، ثم وُجدوا بعد ذلك مقتولين في إحدى المزابل في مدينة الصدر".

ويضيف السامرائي بقوله: "الحق يقال: إن قوات الاحتلال ساهمت أيضًا في الحد من نفوذ وزارة الداخلية أيام السفاح "صولاغ" لأسباب؛ منها ضغوط السياسيين السنة على الاحتلال بعد أن أزكمت أعمال الوزارة الأنوف والسمعة السيئة التي كسبتها وزارة الداخلية لدى الشعب الأمريكي.

ومع هذا فأنا على ثقة أن الكائن الوحيد الجدير بالاحترام والتكريم والتبجيل من قبل تلك الحكومة هي العوارض "الكونكريتية" قبل قوات الاحتلال التي تضعها وزارات الحكومة حولها، وسمعت مرة على لسان الجعفري في إحدى الاجتماعات مع قادة المغاوير، وكان يوبخهم بشده إثر اختطاف شقيقة "صولاغ" الوزير السابق، والله يشهد على هذا، يقول: "يا عمي والله لو مو الأمريكان والعوارض الكونكريتية اللي تصد المفخخات كان ما حسينا إلا أبناء العامة فوق رءوسنا". ويقصد بأبناء العامة أهل السنة.

رامسفيلد يتهم منتقدي سياسات "بوش" بدعم الفاشية

اتهم وزير الدفاع الأمريكي "دونالد رامسفيلد" منتقدي سياسات "جورج بوش" في محاربة "الإرهاب" بأنهم يسعون لإيجاد نوع جديد من الفاشية.

وفي تصريحات شديدة للغاية، وصف "رامسفيلد" منتقدي الإدارة الأمريكية بأنهم يعانون من اضطراب أخلاقي أو ثقافي بشأن ما يهدد أمن أمريكا.

وبحسب وكالة "أسوشيتد برس"، اتهم "رامسفيلد" معارضي السياسات الأمريكية بأنهم يفتقرون إلى الشجاعة لمقاومة التهديدات التي تحيق بأمريكا.

واعتبر "رامسفيلد" الانتقادات الموجهة لأمريكا بسبب حربها على "الإرهاب" تكرارًا لأحداث التاريخ، حيث ظهر في ثلاثينات القرن الماضي من يحاول استرضاء النظام الألماني بقيادة "أدولف هتلر".

وقال "رامسفيلد": يجب علينا إعادة قراءة هذا التاريخ، لأننا لمرة أخرى نواجه تحديات مماثلة لجهودنا في مواجهة التهديدات المتصاعدة، إنه نوع جديد من الفاشية.

وزعم "رامسفيلد" أن وسائل الإعلام الأمريكية تميل إلى ذكر السلبيات بدلاً من الإيجابيات، مستشهداً على ذلك بفضيحة تعذيب السجناء العراقيين في معتقل "أبو غريب".

هذا، وكانت الإدارة الأمريكية قد بدأت سلسلة من المؤتمرات الصحفية استعداداً للذكرى الخامسة لهجمات 11 سبتمبر 2001،ومن المقرر أن تخاطب وزيرة الخارجية الأمريكية "كوندوليزا رايس" إحدى وحدات الجيش الأمريكي في وقت لاحق.

السبيل
جريدة أسبوعية مستقلة شاملة
تصدر مرة في الشهر مؤقتا
الإيداع القانوني: 2005/0096
ملف الصحافة: 2 ن د 2004
رئيس التحرير:
إبراهيم الطالب
هيئة التحرير:
حماد القباج - رشيد مومن الإدريسي
نبيل غزال - علي نجم
أحمد السالمي - إبراهيم الوزاني
المسؤول المالي:
إبراهيم بيدون
قسم التوزيع:
ياسين حيسونة
العنوان: ص.ب 2177 سلا باب شعفة - سلا
الهاتف: 037.78.17.17
البريد الإلكتروني: assabil1@yahoo.fr
assabil1@menara.ma
السحب: صفابرانت
التوزيع: شركة سبريس

العدد 14 - 07 شعبان 1427 الموافق لـ 01 شتنبر 2006

على هامش اكتشاف جماعة "أنصار المهدي"
الإرهاب في المغرب بين الاعتراف بالحقائق وبيان موقف المسلم من فكر الغلو والتطرف

بقلم: إبراهيم الطالب

مرّ على الأحداث التي شهدتها الدار البيضاء ما يربو على الثلاث سنوات تخللتها بين الحين والآخر أنباء عن اعتقال العشرات بل المئات ممن تورطوا فيها أو كانت لهم صلة ولو من بعيد بمن خطط لها، أو كان على معرفة بمنفذيها، فمنذ ذلك الحين، والصحف تكتب عن خطر الإرهاب والإرهابيين! وكل صباح يصحو المغاربة على خبر اكتشاف خلايا إرهابية واعتقال أفرادها، ولعل آخرها أنباء اعتقال أفراد "جماعة أنصار المهدي".

وما يهمنا بغض النظر عن مدى صحة أو كذب الأخبار التي تروجها وسائل الإعلام، هو المساهمة الجدية في إيجاد مخرج حقيقي من مسلسل العنف والتطرف الذي يذهب ضحيته أبناؤنا، هذا المخرج الذي نقدّر أنه يبدأ بالاعتراف بحقائق اتضحت بعد مضي ثلاث سنوات من تجربة مكافحة الإرهاب، وكذا بإعطاء العلماء الحرية في بيان موقف المسلم من الغلو والتطرف والخروج على المسلمين.

حقائق لابد من الاعتراف بها

هناك حقائق لابد أن نعترف بها، إذا ما كنا نريد أن نقضي على الفكر المتطرف في بلادنا منها:

-الأولى: أن الفكر المتطرف موجود بين فئة من المغاربة، لكن اعترافنا بوجوده لا يعني انتشاره بالشكل الذي تروج له وسائل الإعلام اليسارية والعلمانية، حتى أصبح من يثق في أخبارها ويقرأ تحليلاتها كلما رأى صاحب لحية وجلباب تذكر التفجيرات والدم والأشلاء، فهذا التهويل من شأنه أن يزيد في انتشاره وليس في الحد منه.

-الثانية: أن الفكر المتطرف التكفيري قد تصدى له الدعاة والعلماء وحاربوه حربا شرسة، أدت في بعض الأحيان إلى التشهير بأقطابه حتى يحذرهم الناس، وذلك قبل أحداث الدار البيضاء بسنوات عديدة، والعجيب أن يُتهم هؤلاء بالتطرف وقد أمضوا في محاربة التكفير أغلب أوقاتهم.

-الثالثة: أن المقاربة الأمنية (العقاب والقمع) وحدها لا تكفي في معالجة مثل هذه المعضلات التي يختلط فيها الديني بالسياسي، والإقليمي بالدولي وتتداخل فيها الأمور إلى حد يستحيل معه فرزها.

-الرابعة: أن المقاربات التي تعتمدها المؤسسات والوزارات التي يشرف عليها اليسار هي مقاربات ماركسية-لينينية سبق أن انتهجها الشيوعيون لقمع المسلمين في الجمهوريات الإسلامية في كل من الاتحاد السوفيتي ويوغسلافيا، والتي تعتمد نشر الرذيلة والإباحية، واستغلال وسائل الإعلام ودور السينما لتدنيس المقدس وصرف الناس عن القناعات الدينية الأصيلة.

ويتضح ذلك من خلال ما تنشره جريدة الوزير اليازغي (الأحداث المغربية) وما تبثه القناة الثانية التي يهيمن عليها اليسار من برامج وأفلام تنشر السلوك المنحرف والإباحية، وكذا ما يرخص له ويدعمه المركز الوطني للسينما من أفلام تستهزئ بالدين وتنشر القيم العلمانية في مواجهة القيم الإسلامية، ونفس الشيء ينطبق على نشاطات وزارة الثقافة التي يديرها وزير يساري، والذي أغرق المغرب في سيل من المهرجانات كان أخطرها مهرجان "موسيقى أنغام السلام" الذي اعتبره المتتبعون مهرجان عبدة الشيطان والسحاقيات والشواذ، دون أن نهمل الدور الخطير الذي تلعبه وزارة الشباب في تتفيه شبابنا وإشغاله بالرقص والموسيقى عن مسؤوليته أمام ربه ودينه وأمته.

-الخامسة: أن المقاربة الدينية التي تعتمدها وزارة الأوقاف في حربها على الإرهاب والمتمثلة في إحياء ما اندثر من قبور الصالحين وعمارة ما خرب من المواسم، رغم ما ينتشر في معظمها من مخالفات تناقض المشهور من المذهب المالكي كالشعوذة والسحر والشذوذ والزنا والذبح لغير الله، والاكتفاء بفرض ما كاد يندثر من جزئيات مذهبية على الأئمة والقيمين الدينيين، متناسية أن المغاربة أصبحوا يأخذون دينهم عن علم وليس عن تقليد، حيث أصبح الشباب يطالبون بالدليل الشرعي بدل كلام الرجال، إن هذه المقاربة هي مقاربة ساذجة لن تحل معضلة وجود الفكر المتطرف لدى أبنائنا.

-السادسة: أن التعتيم على بعض مبادئ الإسلام كالجهاد ووجوب نصرة المسلمين ورد العدوان عنهم، من شأنه أن يبقي شبابنا عازفين عن علمائهم ومؤسساتهم الدينية، وذلك لكون أبنائنا يلمسون التناقض الصارخ بين صريح القرآن والثابت من السنة وبين كلام الفقهاء والعلماء، مما يستوجب طرح مثل هذه المواضيع ومعالجتها بطريقة السلف في الرد على الخوارج وفكر المتطرفين الأولين، فإن لم نقنع أبناءنا بالحق، فسيقنعهم غيرنا بالباطل.

لقد بات من اللازم علينا أن نعترف وبكل شجاعة بالحقائق المذكورة آنفا، إذا كنا عازمين على حل ملف الإرهاب، وأن لا نخاف من الحق لمجرد كونه جزء مما يؤمن به حاملو فكر التطرف والغلو، وذلك حتى نتمكن من توضيح الموقف الشرعي الذي يجب على المسلم اتخاذه تجاهه.

موقف المسلم من الغلو والتطرف والخروج

مما لا يخفى على من له نظر في كتب السلف، أنهم شددوا في التحذير من الغلو والتطرف لأنهما لا بد أن يفضيا بصاحبهما إلى الخروج على الحكام، ورفع السلاح في وجه المسلمين، لهذا كان السلف يدرجون مسألة الخروج هذه ضمن كتب العقيدة حتى ينبهوا على خطورتها، قال أبو جعفر الطحاوي: "لا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا".العقيدة الطحاوية مع شرح ابن أبي العز.

وقال الإمام أحمد رحمه الله: "ومن خرج على إمام المسلمين، وقد كان الناس اجتمعوا عليه، وأقروا له بالخلافة بأي وجه كان، بالرضا أو الغلبة، فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية، ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق" أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي 161/8.

ومازال منهج السلف الصالح قائما على "التحذير من مذاهب الخوارج ما فيه بلاغ لمن عصمه الله تعالى من مذهبهم، ولم ير رأيهم، وصبر على جور الأئمة وحيف الأمراء، ولم يخرج عليهم بسيفه، وسأل الله تعالى كشف الظلم عنه وعن المسلمين، ودعا للولاة بالصلاح، وإن أمروه بطاعتهم فأمكنه طاعتهم أطاعهم، وإن لم يمكنه اعتذر إليهم، وإن أمروه بمعصية لم يطعهم، فمن كان هذا وضعه كان على الصراط المستقيم إن شاء الله". الشريعة للآجري رحمه الله 3711.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: "ما يقع من ظلمهم وجورهم بتأويل سائغ أو غير تأويل، فلا يجوز أن يزال لما فيه من ظلم وجور كما هو عادة أكثر النفوس، تزيل الشر بما هو شر منه وتزيل العدوان بما هو أعدى منه، فالخروج عليهم يوجب من الظلم والفساد أكثر من ظلمهم، فيصبر عليه كما يصبر عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ظلم المأمور والمنهي في مواضع كثيرة" الفتاوى 179/28.

وبالمناسبة فلينظر القارئ الكريم وليتمعن في كلام هذا الإمام وليقارنه باتهام العلمانيين له بأنه تكفيري، وأن كل المتطرفين يعتمدون على كتبه، فسيتبين له مدى جهل هؤلاء ومدى خبثهم، ولكم أصبت بالعجب المشوب بالرثاء لحال بعض الناس، عندما مررت بمدينة الشماعية هذا الصيف ورأيت إعدادية ابن تيمية وقد وضع على اسم الإمام طلاء يشف قليلا عن حروفه، وبقيت الإعدادية بلا اسم، مما يجعلنا نلمس أثر ما ينشره الإعلام العلماني والذي يقلد فيه أفكار وسموم الأمريكان والأوربيين، فما داموا قد صنفوا ابن تيمية إرهابيا، فهو عند العلمانيين إرهابي، رغم أنك لا تكاد تجد كتابا من كتب التراجم إلا وأشاد ورفع من ذكر هذا الإمام، وكيف يمكن أن يوصف بالتكفيري، ولم يؤثر عنه أنه حمل السلاح في وجه الحكام، بل لم يدع إلى الخروج عليهم وبقي حتى مات في سجنهم صابرا محتسبا، نسأل الله أن يتقبله من الصالحين.

ومثله رحمه الله تعالى مثل تلميذه البار العلم الهمام شمس الدين ابن قيم الجوزية سواء بسواء فقد اتهمه الأمريكان بالتكفير، وقلدهم العلمانيون وهو من ذلك براء، فاسمع لقوله أدخله الله فسيح جنانه إذ يقول: "النبي صلى الله عليه وسلم شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله يبغضه ويمقته أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر، وقد استأذن الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، وقالوا: أفلا نقاتلهم؟ فقال: لا، ما أقاموا الصلاة، وقال: من رأى من أميره ما يكره فليصبر ولا ينزعن يدا من طاعته.

ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل، وعدم الصبر على منكر، فطلب إزالته فتولد منه ما هو أكبر منه..." إعلام الموقعين 43.

الحذر من الأيادي الخفية الاجنبية التي لها مصالح في البلاد

لم يعد خافيا على أحد أن اختراق التنظيمات والخلايا بات من أسهل الإجراءات والخطط المخابراتية، ويزيد من سهولته سذاجة أغلب حاملي فكر الغلو والتطرف، كما أن العمل في السر والظلام يُصعّب من مسألة تثُّبتِ هؤلاء من حقيقة هوية من يخترقهم، لذا وجب على المسؤولين أن يولوا هذه المسألة أهمية بالغة حتى لا يذهب أبناؤنا ضحية أعدائنا، خصوصا وأن الظروف الدولية المضطربة وميولات اليمين المتطرف في أمريكا، وكذا أطماع الصهيونية المسيحية، يستلزم تحقيقُها أن يسود الاضطراب الأمني في البلدان المستهدفة حتى تذعن لشوراتهم وأوامرهم، وحتى تصبح بلداننا كما يريدون وبالشكل الذي يضمن استمرار إحكام قبضتهم على مقدراتنا الاقتصادية.

العدد 14 - 07 شعبان 1427 الموافق لـ 01 شتنبر 2006

أصيلا ومهرجان أنغام الشيطان

بقلم: إبراهيم بيدون

في ظل توالي حلقات وأحداث مسلسل العداء ضد العفة والكرامة.. من حرب على الحجاب، ونشر للتبرج، ودعوة إلى الإختلاط والعلاقات المحرمة، والتعري في الشواطئ.

يخرج علينا قوم قد مسخت فطرهم، وتلوثت قلوبهم بداء الشهوة والشذوذ والمجون، إنهم الشواذ من الإناث والذكور المخنثين، الذين دعاهم إبليس لحزبه فصاروا من عبدة الشياطين.

هذه الشرذمة الشاذة في المجتمع التي بدأت تروج لفكرها الخبيث، وعملها المقيت من زنا ولواط وسحاق، وأعمال تتنزه عنها الحيوانات.

لقد بدأ هؤلاء الشواذ أنشطتهم بالسهرات الماجنة التي تغنى فيها الأغاني الصاخبة، وفيها يمارسون أعمالهم الشاذة، كما استغلوا الشبكة العنكبوتية لنشر الإباحية والرذيلة، بالإضافة إلى أنهم دعوا إلى الإعتراف بهم قانونيا كحال الشواذ في الغرب العلماني، وبعد ذلك دعوا إلى إقامة أول مؤتمر لهم ببلادنا (التي نسأل الله أن يحفظها من دنسهم)، ثم استغلوا مواسم الشرك لممارساتهم كما هو الحال في موسم سيدي علي بن حمدوش قرب مكناس، إلا أن أكبر تجمع لهؤلاء الشواذ هو مهرجان "موسيقى أنغام السلام" الذي تمت انطلاقته العام الماضي بشاطئ "سيدي تيفنيت" بشتوكا آيت باها والذي قوبل بسخط من طرف الساكنة، وذلك بسبب ترويجه للسياحة الجنسية.

رغم ما لاقى هذا المهرجان في دورته الأولى من انتقادات واعتراضات من جهات متعددة، بل حتى من طرف الجمعية المغربية لحقوق الإنسان، لم تكترث الجهات الأمنية ولا المسؤولون عن مثل هذه التجمعات لكل ذلك، بل تم تصدير هذا المهرجان من جنوب البلاد إلى الشمال (من أجل تدنيس كل التراب الوطني) وبالضبط مدينة أصيلا.

فعلى بعد 12 كلم جنوب مدينة أصيلا يقع شاطئ سيدي مغايت الذي احتضن الدورة الثانية لهذا المهرجان، والذي حضره شواذ من أربعين دولة من أربع قارات، مما يدل على أن المغرب قد التحق في هذا المنوال بركب الشذوذ والتطبيع للسياحة الجنسية بكل أشكالها.

مهرجان أصيلا كان برنامجه مليئا بطقوس هذه الفرقة الشيطانية

- موسيقى "الهاردروك" الصاخبة.
- انتشار عبدة الشياطين في أرجائه، بل جل الرموز التي زين بها المهرجان هي لعبدة الشياطين ومنها النجمة السداسية.
- عري من طرف الجنسين.
- زنا ولواط وسحاق (في البر والبحر، سرا وجهرا، والدعوة إلى ذلك لا تحتاج إلى تودد).

كل هذه الممارسات الشاذة تحضى بحماية أمنية من طرف السلطات والدرك داخل وخارج المخيم، ومنع المشاغبين من أن يقلقوا راحة المشاركين في هذا المهرجان.

مهرجان أصيلا الذي يسمى تضليلا وبهتانا مهرجان "أنغام السلام"، فأي سلام وهو يحمل راية الحرب على العفة والحياء والأخلاق والدين والفطرة السليمة، بل ويعظم ويمجد فيه الشيطان.

إن هذا المهرجان يدفعنا إلى طرح بعض الأسئلة:

الأول نوجهه للوزارة المكلفة بالمهرجانات فنقول لها: هل مثل هذه المستنقعات التي ترسخ الرذيلة والشذوذ هي الثقافة التي تنشرها الوزارة وتنفق عليها من المال العام؟

وسؤال آخر نوجهه لوزارة السياحة: هل الرفع من عدد السياح لبلادنا يستلزم استقبال الشواذ من اللوطيين والسحاقيات؟

وأما السؤال المهم فهو لبني علمان جميعا: هل هذا هو التحرر الذي تدعوننا إليه؟ هل هذا المهرجان من برامجكم وثمرة جهودكم، أم هو استمرار لحرب العلمانية على تعاليم الشرع التي تصون الفطرة، وتمجد الشرف، وترفع البشر من الطبيعة البهيمية، إلى الكرامة الإنسانية؟

وإلا، فأين الدين الإسلامي من مهرجاناتكم؟

أولم يعد من الثوابت لديكم؟

فبالله خبرونا أين توجد حدود الانفتاح على الآخر؟

وما هي أعلى مراتب التسامح معه؟

لقد تتجاوز الأمر كل الحدود. والله المستعان.

بين همم الحيوان وهمم بني الإنسان

قال تعالى: "وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إلا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ"(الأنعام:38).

قال سفيان بن عيينة: ما في الأرض آدميٌّ إلا وفيه شَبَهٌ من البهائم؛ فمنهم مَن يهتصر اهتصار الأسد، ومنهم من يَعْدُو عَدْو الذئب، ومنهم مَنْ ينبح نُباح الكلب، ومنهم مَن يتطوَّس كفعل الطاووس، ومنهم مَن يُشبه الخنازير التي لو أُلقي إليها الطعام الطيب عافته، فإذا قام الرجل عن رجيعه ولغت فيه، فلذلك تجد من الآدميين مَن لو سمع خمسين حكمة لم يحفظ واحدة منها، وإن أخطأ رجل تروَّاه وحفظه.

قال الخطابي: ما أحسن ما تأول سفيان هذه الآية واستنبط منها هذه الحكمة! وذلك أن الكلام إذا لم يكن حكمُه مُطاوعًا لظاهره وجب المصير إلى باطنه، وقد أخبر الله عن وجود المُماثلة بين الإنسان وبين كل طائر ودابة، وذلك مُمتنِعٌ من جهة الخلقة والصورة، وعَدَمٌ من جهة النطق والمعرفة؛ فوجب أن يكون مُنصرفًا إلى المُماثلة في الطباع والأخلاق اهـ.

والله سبحانه قد جعل بعض الدوابِّ كسوبًا مُحتالاً، وبعضها متوكِّلاً غير مُحتال، وبعض الحشرات يدَّخر لنفسه قوت سنته، وبعضها يتَّكل على الثقة بأن له في كل يوم قَدْر كفايته رزقًا مضمونًا وأمرًا مقطوعًا، وبعضها يدَّخر، وبعضها لا تكسُّبَ له، وبعضها يؤثر على نفسه، وبعضها إذا ظفر بما يكفي أمَّة من جنسه لم يدعْ أحدًا يدنو منه.

وهذا كله من أدلِّ الدلائل على الخالق لها سبحانه وعلى إتقان صُنْعه، وعجيب تدبيره ولطيف حكمته، فإن فيما أودعها من غرائب المعارف وغوامض الحِيَل وحسْن التدبير والتأني لما تريده، ما يستنطق الأفواه بالتسبيح، ويملأ القلوب من معرفته.

طهارة النحل وقذارة قوم لوط

يقول ابن القيم: "في النحل كرامٌ عمال، لها سعيٌ وهِمَّة واجتهاد، وفيها لئامٌ كسالى، قليلةُ النفع، مُؤْثِرةٌ للبطالة، فالكرام دائمًا تطردها، وتنقيها عن الخليَّة، ولا تُساكنها؛ خشية أن تُعدي كرامها وتُفسدها".

"وكل نحلة تريد دخول الخلية بعد عودتها يشمُّها البوَّاب ويتفقَّدها، فإن وجد منها رائحة مُنكرة، أو رأي بها لطخة من قذرٍ، منعها من الدخول، وعزلها ناحيةً إلى أن يدخل الجميع، فيرجع إلى المعزولات الممنوعات من الدخول، فيتفقدهن ويكشف أحوالهن مرةً ثانية، فمن وجده قد وقع على شيء مُنتن أو نجس قدَّهُ نصفين، ومن كانت جنايته خفيفةً تركه خارج الخليَّة، هذا دأبُ البوَّاب كلَّ عشيَّة".

وقوم لوط كانوا أحقَرهِمَّةً من هذه الحشرة. قال تعالى: "فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إلا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ" (النمل:56)

الهدهد وعبدة الأبقار

لقد استنكر هدهد سليمان أشد الاستنكار، وأنكر أشد الإنكار على قوم سبأ عبادتهم للشمس من دون الله، قال تعالى: "وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ، أَلا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ"(النمل)، فكيف لو رأى الهدهد عبدة الأبقار وعبدة الفئران، بل وعبدة الشيطان؟!

قال غاندي: "عندما أرى البقرة لا أجدني أرى حيوانًا؛ لأني أعبد البقرة، وسأدافع عن عبادتها أمام العالم أجمع".
وقال: "وأُمي البقرة تفضُلُ أُمِّي الحقيقية من عِدَّة وجوه: فالأم الحقيقية تُرضعُنا مُدَّة عام أو عامين وتتطلَّب منا خدمات طول العمر نظير هذا، ولكن أُمّنا البقرة تمنحنا اللبن دائمًا، ولا تطلب مِنَّا شيئًا مُقابل ذلك سوى الطعام العادي" مقارنة الأديان 324.

أغبياء بني آدم

عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما تستقلُّ الشمس فيبقى شيء من خلق الله إلا سبَّح الله بحمده، إلا ما كان من الشياطين وأغبياء بني آدم" (أخرجه ابن السني وأبو نعيم وحسنه الألباني).

وقال صلى الله عليه وسلم: "لا تطلع الشمس ولا تغربُ على أفضل من يوم الجمعة، وما من دابة إلا وهي تفزع ليوم الجمعة، إلا هذين الثقلين: الجن والإنس" (أخرجه أحمد في مسنده وصححه الألباني).

العدد 14 - 07 شعبان 1427 الموافق لـ 01 شتنبر 2006

الفرق بين حب الرياسة وحب الإمارة

..الفرق بين حب الرياسة وحب الإمارة للدعوة إلى الله، هو الفرق بين تعظيم أمر الله والنصح له، وتعظيم النفس والسعي في حظها فإن الناصح لله المعظم له المحب له يحب أن يطاع ربه فلا يعصى، وأن تكون كلمته هي العليا، وأن يكون الدين كله لله، وأن يكون العباد ممتثلين أوامره مجتنبين نواهيه، فقد ناصح الله في عبوديته، وناصح خلقه في الدعوة إلى الله فهو يحب الإمامة في الدين، بل يسأل ربه أن يجعله للمتقين أماما، يقتدي به المتقون كما اقتدى هو بالمتقين، فإذا أحب هذا العبد الداعي إلى الله أن يكون في أعينهم جليلا وفي قلوبهم مهيبا وإليهم حبيبا، وأن يكون فيهم مطاعا لكي يأتموا به ويقتفوا أثر الرسول على يده، لم يضره ذلك بل يحمد عليه لأنه داع إلى الله يحب أن يطاع ويعبد ويوحد، فهو يحب ما يكون عونا على ذلك موصلا إليه، ولهذا ذكر سبحانه عباده الذين اختصهم لنفسه وأثنى عليهم في تنزيله، وأحسن جزاءهم يوم لقائه فذكرهم بأحسن أعمالهم وأوصافهم، ثم قال والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما، فسألوه أن يقر أعينهم بطاعة أزواجهم وذرياتهم له سبحانه، وأن يسر قلوبهم باتباع المتقين لهم على طاعته وعبوديته، فإن الإمام والمؤتم متعاونان على الطاعة، فإنما سألوه وما يعانون به المتقين على مرضاته وطاعته وهو دعوتهم إلى الله بالإمامة في الدين التي أساسها الصبر واليقين، كما قال تعالى: "وَجعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُون" وسؤالهم أن يجعلهم أئمة للمتقين هو سؤال أن يهديهم ويوفقهم ويمن عليهم بالعلوم النافعة والأعمال الصالحة ظاهرا وباطنا، التي لا تتم الإمامة إلى بها.

وتأمل كيف نسبهم في هذه الآيات إلى اسمه الرحمن جلا جلاله ليعلم خلقه أن هذا إنما نالوه بفضل رحمته ومحض جوده ومنته، وتأمل كيف جعل جزاءهم في هذه السورة الغرف وهي المنازل العالية في الجنة، لما كانت الإمامة في الدين من الرتب العالية بل من أعلى مرتبة يعطاها العبد في الدين، كان جزاؤه عليها الغرفة العالية في الجنة، وهذا بخلاف طلب الرياسة فإن طلابها يسعون في تحصيلها لينالوا بها أغراضهم من العلو في الأرض، وتعبد القلوب لهم وميلها إليهم ومساعدتهم لهم على جميع أغراضهم، مع كونهم عالين عليهم قاهرين لهم فترتب على هذا المطلب من المفاسد مالا يعلمه إلا الله من البغي والحسد والطغيان والحقد والظلم والفتنة والحمية للنفس، دون حق الله وتعظيم من حقره الله واحتقار من أكرمه الله، ولا تتم الرياسة الدنيوية إلا بذلك ولا تنال إلا به وبأضعافه من المفاسد.

الروح لابن القيم

الله أكبر! إنها السنن!

كتبه: محمد أبو الفتح

خلق الله آدم من طين، وكان من شأنه مع إبليس ما قصه علينا رب العالمين، فتاب الله عليه بعد المعصية، وأنزله إلى هذه الأرض نبيا وأبا للبشرية، فمكث هو وذريته يعبدون الله لا يشركون به شيئا، ولا يعرفون لله في الأرض ندا ولا سَمِيًّا، وتصديق ذلك قوله تعالى: "كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ" (البقرة213)، قال ابن عباس: "كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين" صححه الحاكم على شرط البخاري، ووافقه الذهبي.

وفي الآية الأخرى: "وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُواْ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ" يونس19. فكان أول ما وقع الشرك في الأرض في قوم نوح صلى الله عليه وسلم، وكان سبب وقوعه الغلوّ في الصالحين، فما كان الله ليتركهم يعبدون غيره، وهو إنما خلق الخلق ليُعْبَدَ وحده لا شريك له، فبعث الله إليهم عبده نوح، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى التوحيد، فلما أصروا على الشرك شكاهم إلى ربه فقال: "رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَاراً، وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً، وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً" نوح 21-23، هذه أسماء آلهتهم: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، قال ابن عباس فيها: "أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنْ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمْ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِم، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ (أي: نسي)عُبِدَتْ" (أخرجه البخاري)، فلما أبوا إلا الشرك أهلكهم الله فأغرقهم عن بكرة أبيهم، ونجّى نوحا والذين آمنوا معه، "فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ" يونس73.

فطهّر الله الأرض من الشرك وأهله، ورجعت إلى التوحيد كما كانت أول مرة، ليس فيها إلا الموحدون، فبقي الأمر على ذلك ما شاء الله، ثم إن الناس بعد ذلك نسوا العلم والتوحيد فوقعوا في الشرك، فأرسل الله إليهم الرسول بعد الرسول قال تعالى: "وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ"الأعراف65، وقال تعالى: "وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ" الأعراف73، وقال تعالى: "وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ "الأعراف85.

وكما أن قوم نوح وقعوا في الشرك بسبب الغلو في الصالحين، فكذلك أمة نبينا صلى الله عليه وسلم دخل عليها الشيطان من الباب نفسه . فترى من هذه الأمة من يدعو الصالحين ويستغيث بهم من دون الله وقد قال صلى الله عليه وسلم: "الدعاء هو العبادة".

وهكذا.. كلما نُسي التوحيد أرسل الله رسولا، فيكذبه قومه، فيهلكهم الله وينجي الموحدين، قال تعالى: "ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاء أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضاً وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْداً لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ" المؤمنون44 ، (تترا: يتبع بعضهم بعضا).

إلى أن ختم الله الرسالات بسيد المرسلين وإمامهم محمد صلى الله عليه وسلم، فذكّر الناس بالتوحيد، ودعاهم لمثل ما كان يدعو إليه إخوانه المرسلون "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا يوحى إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ" الأنبياء25.

فرفع الله بنبيه راية التوحيد، وأظهر به الإسلام على كل دين قال تعالى: "هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ"التوبة33.

ثم إنها جرت على هذه الأمة سنة الله التي لا تتخلف في الأمم، فلما بَعُدَ عهدُها عن نبيها وقع كثير منها في الشرك، ولكن هذه المرة ليس بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبي، وإنما يقيم الله الحجة على الناس بالمجددين، قال صلى الله عليه وسلم : "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها" (أخرجه أبو داود وصححه الألباني).

وكما أن قوم نوح وقعوا في الشرك بسبب الغلو في الصالحين، فكذلك أمة نبينا صلى الله عليه وسلم دخل عليها الشيطان من الباب نفسه.

فترى من هذه الأمة من يدعو الصالحين ويستغيث بهم من دون الله وقد قال صلى الله عليه وسلم :"الدعاء هو العبادة" (أخرجه الترمذي وصححه).

وترى منهم من يقدم لهم الذبائح و النذور، وقد قال تعالى: "فصل لربك وانحر" (الكوثر2) .

وتجد منهم من يحلف بهم، وقد قال صلى الله عليه وسلم : "من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت" (متفق عليه).

وتجد من يتمسح بقبورهم وقد قال صلى الله عليه وسلم للذين طلبوا منه ما يتبركون به: "الله أكبر إنها السنن لقد قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: "اجْعَل لَّنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ" (الأعراف138)" (أخرجه الترمذي وصححه).

وترى ... وتجد ...

ونحن نقول أيضا : الله أكبر إنها السنن لقد وقعت هذه الأمة فيما وقعت فيه الأمم، ولسان حال بعضها يقول: لا تذَرُنّ أضرحتَكم ومواسمَكم، ولا تذَرُن سيدي فلان، و فلان، ولا مولاي فلان، و فلان..

فعَوَّلت هذه الأمة على أمواتها ليدفعوا العدوان عن أحيائها، وذلك في زمن أخذت فيه الأمم بأسباب القوة.

وعَوَّلت على التمائم والحجب، ووَزَّعت اختصاصات الأمراض على الأولياء، وذلك في وقت انكبَّت فيه الأمم على علوم الطب واختصاصاته المتنوعة.

يا حسرة على أمة ضحكت من جهلها الأمم! يا حسرة على أمة ماتت فيها الهمم !

أليس هذا زمان العلوم والتكنولوجيا، وزمان التقدم وغزو الفضاء؟! فلماذا إحياء الجهل والشرك والخرافة؟

أما آن لهذه الأمة أن تتحرر من أسباب انحطاطها، وأن تفك قيود انطلاقها ونهضتها؟!

أما آن لها أن تَنْتَفِضَ من بين الأمم فتقول: ها أنا ذي؟

تنبيه هام: إن هذه الجريدة تتضمن آيات من القرآن الكريم فالواجب عدم امتهانها

العدد 14 - 07 شعبان 1427 الموافق لـ 01 سبتمبر 2006

أتاكنّ شهر رمضان
(كيف تستعد المرأة لرمضان)

بقلم: حمّاد القباج

"أتاكم شهر رمضان؛ شهر مبارك: **فرض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغلّ فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرم خيرَها فقد حُرم"...**

بهذه الكلمات المباركات بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بقدوم شهر رمضان المعظم، وبها نفتتح مقالات هذه الرياض العطرة، والأمّةَ على أبواب رمضان، مبشرين نحن بدورنا أخواتنا بهذا القدوم المبارك الميمون..

وأودُّ أن أوضح هنا لكل مسلمة؛ أن هذا التبشير يحمل في طياته؛ الحث على الاستعداد لاستقبال هذا الشهر الكريم، وتوطين النفس للاجتهاد فيه بما يُرجى بسببه تكفير الخطايا والسيئات، ورفعة المنزلة والدرجات، عند رب الأرض والسماوات.

وهذا من علامات العقل وحسن تصريف الوقت؛ أن تهتبلي فرصة مواسم الخير -وعلى رأسها شهر رمضان- لتضاعفي العمل، وتزدادي استقامة وعبودية لله رب العالمين.

فأسباب كثرة الخير تتيسّر في هذا الشهر: "..لله فيه ليلة خير من ألف شهر"؛ أي العبادة فيها خير من العبادة في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر.

وأسباب الشر والدوافع إليه تضيق: "..وتغل فيه مردة الشياطين"؛ فلا يخلصون إلى ما كانوا يخلصون إليه من قبل من إضلال بني آدم.

هذا بالإضافة إلى انكسار النفس الأمارة بالسوء، وتعديل قوتها بالصيام.

وعناصر الترغيب تكتمل: "تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب الجحيم". فتصعد الأعمال الصالحة إلى الملك الديّان، ولا يخفى عليه سبحانه منها شيء مهما كثُرت وتنوعت، ويحفظها لعباده فلا تضيع، ويجزيهم -عز وجلّ- بالحسنة عشرة، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة...

فالمغبونة كل الغبن؛ من ضيّعَتْ هذه الفرصة العزيزة الغالية، وفوّتت على نفسها هذه الغنيمة الكبيرة.

ولذلك دعا جبريل والنبي صلى الله عليهما وسلم؛ على من أدرك رمضان ولم يستغله لمحو ذنوبه:

عن كعب بن عجرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**أحضروا المنبر**، فلما ارتقى درجة قال: آمين، فلما ارتقى الثانية قال: آمين، فلما ارتقى الثالثة قال: آمين.

فلما نزل، قلنا: يا رسول الله، لقد سمعنا منك اليوم شيئا ما كنا نسمعه؟ فقال: **إنّ جبريل عَرَضَ لي فقال: بَعُدَ من أدرك رمضان فلم يغفر له، فقلت: آمين.."** (الحديث؛ رواه الحاكم وصححه).

فما أعظم خسارة من دعا عليه رسولا الله، عليهما السلام.

وهو ما تتعرض له كثير من النساء، اللواتي لا يحلو لهن التوسع في المباحات -بل والمخالفات- إلا في هذا الشهر!

فلا تكفير ولا رفعة، ولكن لهو ولعب.

أما العاقلة؛ فإن كانت محسنة فإنها تزداد إحسانا، مستغلة بركة هذا الزمن لمضاعفة رصيدها من الحسنات، وإن كانت مسيئة فإنها تقلع عن إساءتها، مهتبلة ما جعل الله فيه من الأسباب المعينة على التوبة، والوسائل المؤدّية إلى محو الحَوْبة، ثم تلتحق بأختها في مضمار التنافس الشريف، غير آيسة من اللحوق بها؛ فإن ربَّنا ذو فضل عظيم، ولا حَجر على فضل الله تعالى..

وهاكِ أختي المسلمة؛ توجيها نبويا آخر يَصُبّ في الوادي الذي نحن فيه خائضون، ويزيدنا توضيحا للطريق الذي نحن عليه سائرون:

عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**افعلوا الخير دهركم، وتعرضوا لنفحات رحمة الله، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده**" (رواه الطبراني وحسنه الألباني).

في هذا الحديث الشريف يحث النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين على الاجتهاد في العمل الصالح في كل أوقاتهم، ثم مضاعفة اجتهادهم في الأوقات المتميّزة خاصة؛ ومنها رمضان.

وبهذا يتعرضون للنفحات القدسية التي تهبّ رياحها المباركة مع مواسم الخير، ومحافل البركات..

فعليكِ -أيتها المسلمة- أن تنافسي أخاك، في العمل بهذا التوجيه الكريم، والأخذ من ذلك العمل بأوفر حظ وأكبر نصيب.

قال الله تعالى: "خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ" (المطففين 26).

ولا يخفى عليكِ؛ أن هذا العمل الجليل، يحتاج إلى استعداد وتأهب كبيرَيْن، يمكن حصر عناصرهما في أمور أربعة هي:

1 - تصحيح النية واستحضار قصد التقرب إلى الخالق جلّ وعلا:

ومن أعظم ما يَضُرّ بهذا الأصل :(التعبدُ الوراثي) والذي هو تعبد الكثيرين؛ فهم يصومون؛ لأن هذه عادة ورثوها عن الآباء والأجداد، وهذا يجعلهم مُقصِّرين فيما هو واجب عليهم قبل كل شيء من تصحيح النية، واستحضار واستصحاب قصد التقرب إلى الله بهذا العمل.

وهذه النية شرطٌ في قبول التعبد من الرب سبحانه:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**كلُّ عمل ابن آدم يُضاعَف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به؛ يدع شهوته وطعامه من أجلي**" (رواه مسلم).

تأملي قوله تعالى: "من أجلي"؛ فأنت تصومين لله، حباً له سبحانه وتعظيما، ورغبة فيما عنده من عظيم الأجر وجزيل الثواب، لسان حالك يقول:

"وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى" (الليل 19-21).

وهكذا كل ما تقومين به من وظائف هذا الشهر وأعماله، تكون لك فيها هذه النية، حتى وأنت في المطبخ تعدّين الطعام للوالدين، أو للزوج والأولاد؛ انو بذلك التقرب إلى الله بأداء الحق، والتوسعة على الأسرة، وإدخال السرور عليهم، وفي ذلك ترغيب لهم في الصيام، وتشجيع عليه، وهذا من الدعوة إلى الله، فتأملي.

2 - التفقه في عبادة الصيام:

هذا هو العنصر الثاني من عناصر الاستعداد لهذا الشهر المبارك، والله تعالى إنما يُعبد عن علم، ولذلك أنزل الكتب وأرسل الرسل، وبيّن لكل أمة شِرعتها، وأمر سبحانه بالرجوع إلى أهل العلم واستفتائهم.

فأعظم ما تستعد به المرأة لهذا الموسم بعد تقويم النية؛ أن تتفقّه في عبادة الصيام خصوصا، وفيما يُشرع في رمضان عموما من الوظائف والعبادات، وتستعمل من وسائل التعلم ما تتمكن منه وتستفيد منه؛ من قراءة، وسماعِ درس، واستفتاءِ عالم..، وغير ذلك.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين**" (متفق عليه).

والصيام من الدين، فمن تفقه فيه، فهو على خير عظيم.

3 - التعرف على مقاصد الصيام:

وهي المشار إليها في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" (البقرة 183).

فقوله سبحانه: "**لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**"؛ يشير إلى أن المقصود من الصيام ليس مجرد ترك الأكل والشرب، ولكن المقصود تحقيق التقوى؛ فتضع المرأة ذلك غاية لها، وتجتهد لتحقيقها.

والتقوى: هي أن تجعلي بينكِ وبين عذاب الله وقاية، بامتثال الأوامر وترك النواهي؛ ومن ذلك: اجتناب المخالفات الشرعية في هذا الشهر أكثر من غيره؛ كالكذب والغيبة والنميمة والتبرج...إلخ.

وبهذا تحققين ثمرة الصيام؛ وهي: تدريب النفس على التقوى، فيسهل عليك هذا الأمر العظيم بعد رمضان، وتبقين عليه إلى أن تلقي به ربك، فتفوزي بما أعده الله للمتقين:

قال سبحانه: "سَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ" (آل عمران 133).

و"فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ" (آل عمران185).

4 - وضع برنامج لهذا الشهر:

وهذا يجعلكِ متمكنة من وقتك، ضابطة للحظاته؛ التي هي أشد تفلتا من الإبل في عقلها، سيما مع ما صار عرفا عندنا في هذا الشهر من التوسع في أنواع الأطعمة والأشربة، ممّا أدّى إلى مزاحمة المطبخ للعبادة عند أكثر النساء، حتى بلغ الحال بكثيرات إلى الغلو في ذلك، حيث تدخل إلى المطبخ قبل الظهر ولا تخرج منه إلا بعد العشاء مُتعَبة مُنهكة، فتختم ليلتها أمام التلفاز! وبهذا تلقي بالعبادة إلى حيث حطّت رحلها أمّ قشعم!!

فنظّمي وقتك، واصرفي لكلّ عملٍ ما يحتاج إليه من الزمن حسب أهميته ونفعه:

فلورد القرآن قسط، وللآداب الصيام قسط، وللقيام آخر، وللمطبخ ..وهكذا.

.. أما بعد، فتلك -أيتها الفاضلة- معالمُ أربعة، في طريق استعدادك لحلول شهر رمضان الكريم، في رحاب أيامكِ التي هي في أمس الحاجة إلى بركاته ونفحاته.

وأجزم أن كل مسلمة ستشاطرني هذا الرأي: وهو أن الاستعداد المطلوب منها، والتنافس المرغبة فيه، لن يتأتى منها أبداً؛ إذا كانت مراسيم استقبالها لهذا الشهر العظيم؛ تبقى حبيسة المطبخ والسوق، ثم البرامج التلفزية والسهرات العائلية؛ وهذا -ممّن ابتُلِيت به- دورانٌ في بوتقة المحظور والمكروه، وإغراق فيما يُقسي القلب ويبعد عن الله سبحانه وتعالى.

وكم يَقبُح بالمرأة أن تدور في بوتقة المكروه، وتتلطخ بأوحال المحظور، وهي مطالبة بالسباحة في فلك المستحب، وبلوغ القمة في جبله الشامخ، الذي يُطِلّ برأسه على جنان النعيم المقيم، والحبور العظيم.

وبالله تعالى التوفيق.

العدد 14 - 07 شعبان 1427 الموافق لـ 01 شتنبر 2006

في رحاب القرآن

قال الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ" (سورة البقرة؛ الآية:178).

كان أهل الجاهلية لا يقيمون كبيرَ وزنٍ للمرأة في تشريعاتهم، فيقعون في ظلمها، ومن هذا أنهم يقتلونها بالرجل، ولا يقتلون الرجل بها؛ أي: إذا قتلت المرأةُ رجلا، قُتلت به، وإذا قتلها، لم يُقتل بها!

فأبطل الله هذا الحكم الجائر، وأعطى المرأة حقها، وسَوّى بينها وبين الرجل في القصاص، سواء في النفس أو في الجراحات.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في قوله سبحانه: "وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى": "وذلك أنهم لا يقتلون الرجل بالمرأة، ولكن يقتلون الرجل بالرجل، والمرأة بالمرأة فأنزل الله: "النفس بالنفس والعين بالعين"، فجعل الأحرار في القصاص سواء فيما بينهم من العمد؛ رجالهم ونساؤهم في النفس، وفيما دون النفس" (تفسير ابن كثير (ج 1 / ص 489).

وروى الأربعة إلا الترمذي عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ".

ونقل الإجماعَ على تساوي الرجال والنساء في القصاص؛ ابن المنذر في كتابه الإجماع، والقرطبي في تفسيره، وابن حجر في الفتح.

وفي هذا الحكم حماية عظيمة للمرأة؛ إذ لولاه لتجرأ الناس على دمها.

إن الله هو الرزّاق

بقلم: ذ. فاطمة معلم

النّملة في الأرض، يرزقها رب العالمين: "وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ" (هود 6).

والطيور في السماء، يُطعمها الغفور الشكور: ".. كما يرزق الطير تغدو خِماصا وتروح بطانا".

والسمك في الماء، يرزقه رب الأرض والسماء: "وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ" (الأنعام 14).

وأنت أيها الآدمي أزكى من النملة والطير والسمك لأن الله سبحانه وتعالى خلقك بيده وأسجد لك ملائكته.

فلا تحزن على رزقك وقل: "علمت أن رزقي بين يدي ربي فاطمأن قلبي".

عليك بالسعي والبحث عن السبب المشروع للحصول على رزق طيب حلال:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يستبطئن أحد منكم رزقه، فإن جبريل ألقى في روعي أن أحدا منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه، فاتقوا الله أيها الناس وأجملوا في الطلب، فإن استبطأ أحد منكم رزقه فلا يطلبه بمعصية الله، فإن الله لا يُنال فضلُه بمعصيته" (رواه الحاكم).

وأنت أذكى المخلوقات، ومأمور بالتدبر والتعقل والتذكر والتبصر: "أَفَلَا يَعْقِلُون" (يس 68)، "أَفَلَا تَذَكَّرُون" (الصافات 155)، "أَفَلَا تُبْصِرُون" (القصص 72)، والآيات الشرعية في هذا المجال عديدة، يتلوها ويتدبرها كل مُحِبِّ لكتاب الله عز وجل؛ مجمع الرحمة ونبراس الهداية، وشافي القلوب والأبدان من العقد والأسقام.

.. اعلم أن سبب ضيق الصدر؛ هو البعد عن رب العزة، فكم من غني معافى، أعرض عن مولاه وازدرى نعَمه، فسلبه ربه العافية وابتلاه بالفقر فأضحى عرضة للضياع والآلام الفتاكة:

"يَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ" (هود 52).

"وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى" (طه 124).

الأهم هو صلتك بمولاك، الضامن لرزقك؛ كيف هي هذه الصلة؟ لا بد أن تكون من أمتن الأواصر، وأن تكون لا انفصام لها:

احفظ الله يحفظك، احرص على أداء ما افترض عليك، قم من الليل؛ صَلِّ والناس نيام، لِيَكُن همُّكَ رضى المنان، وسترى وتفاجأ بالنتيجة الطيبة التي لا تخطر لك على بال:

"وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ" (الطلاق 2).

حقيقة الصبر

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى عَلَى امْرَأَةٍ تَبْكِي عَلَى صَبِيٍّ لَهَا، فَقَالَ لَهَا: "اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي".

فَقَالَتْ: "إِلَيْكَ عَنِّي فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي"! وَلَمْ تَعْرِفْهُ.

فَلَمَّا ذَهَبَ قِيلَ لَهَا: إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! فَأَخَذَهَا مِثْلُ الْمَوْتِ، فَأَتَتْ بَابَهُ، فَلَمْ تَجِدْ عَلَى بَابِهِ بَوَّابِينَ.

فَقَالَتْ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ أَعْرِفْكَ".

فَقَالَ: "إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ أَوَّلِ الصَّدْمَةِ". (متفق عليه).

مع أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم

روى أحمد في مسنده عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها: أدخلي من أي أبواب الجنة شئت) وروى نحوه ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم 660.

و معنى هذا الحديث كما بينه الإمام المناوي في فيض القدير :(إذا صلت المرأة خمسها) المكتوبات الخمس، (وصامت شهرها) رمضان غير أيام الحيض إن كان، (و حفظت) وفي رواية: أحصنت (فرجها) عن الجماع المحرم والسحاق، (وأطاعت زوجها) في غير معصية (دخلت) ولم يقل تدخل إشارة إلى تحقق الدخول (الجنة) إن اجتنبت مع ذلك بقية الكبائر أو تابت توبة نصوحاً أو عفي عنها.اهـ

مفاهيم يجب أن تصحح

رشيد مومن الإدريسي

الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك

رضي لنا النبي صلى الله عليه وسلم ما رضيه لنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كما في الحديث: "رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد" صحيح الجامع 3509.

ولذلك حري بالحريص على هذه الوصية أن يتبع أقوال وكلمات هذا الصحابي الجليل وفهمها، ومن ذلك ما اشتهر عنه من قوله رضي الله عنه: "الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك" انظر: "إغاثة اللهفان"77/1، و"إعلام الموقعين"397/3، و"الباعث على إنكار البدع والحوادث"22، "وتهذيب الكمال" 264/29.

فهذه الكلمة عظيمة القدر جليلة الموقع، تَتَابع العلماء على الاحتجاج بها وذكرها، إلا أن الكثير من الناس يحتجون بها في غير موضعها حتى خرجوا بها عن مقصودها، وسبب إيرادها.

فنجد من تبنى فكرة، أو اعتقد معتقدا يدعي أنه محق وعلى الحق، مستدلا بقلة من يسير على ذلك وكثرة المخالف له، محتجا بقول ابن مسعود رضي الله عنه: "..وإن كنت وحدك".

فجعل القلة والكثرة المقياس الأصلي لتمييز الحق من الباطل، ومعرفة المحق من المبطل.

فحلت بذلك كلمة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه على أن القلة هي المتمسكة بالسنة والكتاب، والكثرة مخالفة للحق والصواب.

وهذا فهم فاسد لكلمة هذا الصحابي الجليل.

نعم وردت آيات كثيرة في ذم الكثرة كقوله تعالى: "وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ"

وقوله: "وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ"

وقوله: "وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ"

إلا أنها لا تعني بحالَ ذم الكثرة على سبيل الإطلاق، وإنما المقصود بها ذم الكثرة التي قامت على الضلال والإضلال، كما يفهم منها مدح القلة التي تمسكت بالحق والبرهان.

فأهل الإسلام في أول الدعوة كانوا قلة، ثم صاروا كثرة وهم أهل الحق، مما يدل على أن العبرة أصالة بالحق لا بغيره.

قال أبو شامة رحمه الله: "حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة، فالمراد به لزوم الحق واتباعه وإن كان المتمسك به قليلا، والمخالف كثيرا، أي: الحق هو ما كان عليه الصحابة الأول من الصحب، ولا حظ لكثرة أهل الباطل بعدهم" فيض القدير 19/4.

ومن ذلك قول الإمام ابن القيم رحمه الله لما ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم: "طوبى للغرباء قالوا: ومن الغرباء، قال: الذين يزيدون إذا نقص الناس: "فإن كان هذا الحديث بهذا اللفظ محفوظا لم ينقلب على الراوي لفظه، وهو: "الذين ينقصون إذا ازداد الناس" معناه: الذين يزيدون خيرا وإيمانا إذا نقص الناس من ذلك والله أعلم" المدارج 195/3.

ومما يبينه ويوضحه كذلك قوله رحمه الله: "ومن صفات هؤلاء الغرباء الذين غبطهم النبي صلى الله عليه وسلم التمسك بالسنة إذا رغب عنها الناس، وترك ما أحدثوه وإن كان هو المعروف عندهم، وتجريد التوحيد، وإن أنكر ذلك أكثر الناس، وترك الانتساب إلى أحد غير الله ورسوله لا شيخ ولا طريقة ولا مذهب ولا طائفة بل هؤلاء الغرباء منتسبون إلى الله بالعبودية له وحده، وإلى رسوله بالاتباع لما جاء به وحده، وهؤلاء هم القابضون على الجمر حقا وأكثر الناس بل كلهم لائم لهم" المدارج197/3.

إذن ليس المقصود من كلمة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه السير مع القلة، وجعل ذلك هو مصدر الحق، وإنما القصد حث المرء على التمسك بالحق، وأن يدور معه حيث دار وإن كان وحده، فإن الله معه فلا ينبغي أن يستوحش ذلك من قلة السالكين ولا يغتر بكثرة الهالكين.

قال ابن القيم رحمه الله: "..ولا تستعصب مخالفة الناس والتحيز إلى الله ورسوله ولو كنت وحدك، فإن الله معك وأنت بعينه وكلاءته وحفظه لك" الفوائد 116.

مفهوم التأويل

عمل كثير من الناس على تحريف الكلم عن مواضعه، وليّ أعناق النصوص بشتى أنواع التمحلات، وسموا عملهم هذا تأويلا، ليروج على من لا يدرك الباطل الذي جاءوا به، فأفقدوا النصوص الشرعية هبتها، وجعلوها لعبة في أيديهم، فكان لبُوسُ التأويل باب شر عظيم، وَلَج منه من أراد هدم أحكام الدين، وتعاليمه وأصوله وفروعه.

ولذلك نص العلماء على أن التأويل الباطل كان جناية على الإسلام وأهله، بل جناية على سائر الأديان، وقد قرر ابن القيم رحمه الله أن التأويل أصل خراب الدين والدنيا، فما اختلفت الأمم على أنبيائها إلا بالتأويل، وأعداء الإسلام سُلطوا علينا بالتأويل، ودماء المسلمين إنما أريقت بالتأويل" انظر إعلام الموقعين 317/4-319.

التأويل لغة واصطلاحا

أما في اللغة، ففي "لسان العرب" 130/1 "الأول الرجوع، آل الشيء يؤول ومآلا رجع، وأول إليه الشيء: رجعه".

أما في الاصطلاح فيطلق ويراد به: التفسير أو ما تأول إليه حقيقة الشيء.

يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله: "وفي التأويل وجهان أحدهما: التفسير والثاني: العاقبة المنتظرة" زاد المسير 354/1.

أما في اصطلاح المتأخرين هو "صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن بذلك" الفتاوى 35/5.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله بعدما حكى هذا النوع من التأويل "وتسمية هذا تأويلا لم يكن في عرف السلف وإنما سمَّي هذا وحده تأويلا طائفة من المتأخرين الخائضين في الفقه وأصوله والكلام" الفتاوى 69/4.

تأويل هو أو تحريف

صرف اللفظ عن ظاهره إلى احتمال مرجوح بدليل صحيح صريح هو تأويل مقبول بشرط "أن يكون المُتَأَوِّلُ أهلا لذلك" قاله الآمدي رحمه الله في الإحكام 75/3.

وإن كان قد يعذر بتأويله عند الخطأ إذا كان التأويل سائغا في لغة العرب وكان له وجه علمي.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "قال العلماء: كل متأول معذور بتأويله ليس بآثم إذا كان تأويله سائغا في لسان العرب، وكان له وجه في العلم" الفتح 318/12.

أما إذا كان بدليل فاسد، أو بلا شيء فهو لعب وتحريف للكلم عن مواضعه، وخروج بالقرآن والسنة إلى معان باطلة.

قال الزركشي رحمه الله: التأويل اصطلاحا: "صرف الكلام عن ظاهره إلى معنى يحتمله، ثم إن حمل لدليل فصحيح، وحينئذ فيصير المرجوح في نفسه راجحا، أو لما يظن دليلا ففاسد، أو لا لشيء فلعب، لا تأويل" البحر المحيط 437/3.

قلت: وصنيع العلمانيين والمبتدعين، وكثير من أهل الأهواء من هذا الباب الأخير من التأويل المتعسف الفاسد، الذي جعلوه ملاذهم وملجأهم، ليضفوا على أعمالهم صبغة الشرعية.

ولتمرير أفكارهم ومعتقداتهم التابعة للفلسفات البشرية والأهواء الشخصية القائمة على التوهمات، والتحليلات، والأقيسة العقلية الفاسدة التي أوحى بها إليهم شياطين الإنس من المستشرقين الغربيين، ليحرفوا بها ما قاله الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وأجمعت عليه الأمة خلفا بعد سلف!

والباعث لهؤلاء على هذا التأويل أنهم ضاقوا ذرعا بمن ينادي بالتمسك بالقرآن والسنة، والأخذ بأحكام الدين، والعمل بها في كل مكان وزمان، فافتروا على الله الكذب والبهتان، لجعل اليقينيات ظنيات، والقطعيات محتملات، والثوابت متغيرات، والمسلمات والبدهيات قابلة للأخذ والرد والجدال، والتقول والقيل والقال، والله المستعان.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: "وقد تبين بذلك أن من فسر القرآن أو الحديث وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين، فهو مفتر على الله ملحد في آيات الله محرف للكلم عن مواضعه، وهذا فتح لباب الزندقة والإلحاد، وهو معلوم البطلان بالاضطرار من دين الإسلام" الفتاوى الكبرى244/13.

وقال كذلك رحمه الله بعد ما ذكر هذا النمط من التأويل: "هذا التأويل في كثير من المواضع -أو أكثرها وعامتها- من باب تحريف الكلم عن مواضعه، من جنس تأويل القرامطة والباطنية، وهذا هو التأويل الذي اتفق سلف الأمة وأئمتها على ذمه، وصاحوا بأهله من أقطار الأرض، ورموا في أثرهم بالشهب" الفتاوى 69/3.

وقال في موضع آخر: "هذا التأويل المذموم الباطل هو تأويل أهل التحريف والبدع، والذين يتأولونه على غير تأويله، ويدعون صرف اللفظ عن مدلوله إلى غير مدلوله بغير دليل يوجب ذلك.." الفتاوى 67/36.

العدد 14 - 07 شعبان 1427 الموافق لـ 01 شتنبر 2006

الشيعة المعاصرون على درب الشيعة القدامى

محمد علي أبطحي، نائب الرئيس الإيراني، يصرح في 2006/04/6م في مؤتمر عقد في أبو ظبي:

"لولا التعاون الإيراني، لما استطاعت أمريكا أن تدخل أفغانستان أو العراق بهذه السهولة"

التاريخ في قديمه وحديثه يثبت أن الشيعة الروافض حملوا الكراهية والضغينة والبغضاء لكل مسلم سني، فبُغضهم لعامة أهل السنة لم ولن يقلّ عن بغضهم لخاصتهم وأئمتهم، وهو بغض وكره يفضي في كل مرة إلى المحاربة والقتال والاستحلال، إما مباشرة، وإما عن طريق الوقوف مع الأعداء، والتحالف معهم، كما حدث أثناء الحروب الصليبية وغزوات التتار وأيام الدولة الصفوية الإيرانية الرافضية، التي شايعت كل الأعداء على الدولة العثمانية، وأخيراً وليس آخراً ـ الخنوع والخضوع والركوع أمام أمريكا ليقفز من فوق ظهورهم إلى حرمات المسلمين في أفغانستان والعراق، وهو ما تباهوا به مؤخراً على لسان (محمد علي أبطحي، نائب الرئيس الإيراني)، الذي قال في 2006/04/6م في مؤتمر عقد في أبو ظبي: "لولا التعاون الإيراني، لما استطاعت أمريكا أن تدخل أفغانستان أو العراق بهذه السهولة".

والناصب أو الناصبي عند الشيعة، هو كل من ناصب أهل البيت العداء ـ في زعمهم- ، وكل من لم يعترف بالأئمة الاثني عشر الذين اخترعهم "ابن سبأ" وبنى عليهم أصول المذهب، ولأن أهل السنة هم أول من تصدى لهذا الابتداع، فقد ناصبهم أهل التشيع العداء مع علمهم بأن أهل السنة هم أكثر الناس محبة وإخلاصاً لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعاً لسنته وسنة أصحابه من أهل البيت وغيرهم.

يقول البحراني الشيعي في كتابه (المحاسن النفسانية ـ ص 147): "الناصب هو من يقال له عندهم سنياً، ولا كلام في أن المراد بالناصبة هم أهل التسنن".

أحكام تكفيرية:

أما حكم "النواصب=السنة" عند الشيعة، فهم يكفرونهم، ويستحلون منهم كل ما يحل من الكفار الأصليين أو المرتدين، هذا حكمنا -أهل السنة- عندهم في القديم والحديث: ثم يأتون اليوم ويتحدثون عن "التكفيريين.. الوهابيين.. الإرهابيين"!!

إنه لا فرق عندهم بين كفر اليهود والنصارى و (النواصب): يقول إمامهم الخوئي في كتابه (منهاج الصالحين ـ 116/1): "لا فرق بين المرتد والكافر الأصلي الحربي والذمي والخارجي والغالي والناصب".

واليهود والنصارى عندهم أطهر من «النواصب»:

قال الخميني في كتابه "تحرير الوسيلة"(ص 118): "أما النواصب والخوارج لعنهما الله، فهما نجسان من غير توقف".

وكل من لا يقول بإمامة الأئمة الاثني عشر، عند الشيعة كافر:

قال عالمهم يوسف البحراني في كتابه (الحدائق الناضرة 153/18): "ليت شعري، أي فرق بين كفر بالله سبحانه ورسوله، وبين كفر بالأئمة عليهم السلام، مع ثبوت كون الإمامة من أصول الدين".

وقال الكاشاني في كتابه (منهاج الحياة ص:48) : "من جحد إمامة أحد من الأئمة الاثني عشر، فهو بمنزلة من جحد نبوة جميع الأنبياء".

وقال المجلسي في كتابه (بحار الأنوار 390/23): "اعلم أن إطلاق لفظ الشرك والكفر على من لم يعتقد بإمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليهم السلام، وفضَّل عليهم غيرهم يدل على أنهم مخلدون في النار".

و"النواصب" -أي أهل السنة- عند التكفيريين السبئيين الشيعة، تحل دماؤهم وأعراضهم وأموالهم:

فهم يوردون أثراً عن داوود بن فرقد، أنه قال: "قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما تقول في قتل الناصب؟ قال: حلال الدم، ولكن اتق؛ فإن قدرت أن تقلب عليه حائطاً أو تغرقه في ماء لكيلا يُشهد عليك فافعل، قلت: فما ترى في ماله؟ قال: خذه ما قدرت عليه".

وهذا الأثر أورده الصدوق في (علل الشرائع ص:601) ، وأورده الحر العاملي في (وسائل الشيعة 463/18) والجزائري في (الأنوار النعمانية ـ 308/2).

ويقول (الخميني) في (تحرير الوسيلة 352/1): "الأقوى إلحاق الناصب بأهل الحرب في إباحة ما اغتنم منهم، وتعلق الخمس به، بل الظاهر جواز أخذ ماله أينما وجد، وبأي نحو كان، وادفع إلينا خمسه".

وأئمة المذاهب الأربعة السنية منحرفون عند الشيعة التكفيريين:

قال محمد الرضوى في كتابه (كذبوا على الشيعة) ص 135: "ولو أن أدعياء الإسلام والسنة أحبوا أهل البيت ـ عليهم السلام ـ لاتّبعوهم، ولما أخذوا أحكام دينهم عن المنحرفين عنهم، كأبي حنيفة والشافعي ومالك وابن حنبل"!

السيستاني.. "خميني العراق الجديد":

يعتبر السيستاني المرجع الشيعي الإيراني المقيم في مدينة النجف بالعراق، وقد عرف بموقف تكفيري من أهل السنة بشكل عام، لا يختلف عن مواقف من سبقوه، ومع هذا فإنه مع عدم حرصه على الظهور الإعلامي، يحرص على أن يبدو وديعاً مصلحاً، وحليماً حكيماً وهو يتعامل مع الأحداث.

قال جواباً على سؤال: "ما صحة الرواية التي تقول بأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا اثني عشر ألفاً ثمانية آلاف بالمدينة، وألفان من مكة، وألفان من الطلقاء، لم يُر فيهم قدري، ولا مرجئ، ولا حروري، ولا معتزلي، ولا صاحب رأي، كانوا يبكون الليل مع النهار، ويقولون: اقبض أرواحنا من قبل أن نأكل خبز الخمير"، وهي رواية موجودة في كتاب الخصال للصدوق صفحة 639، قال السائل: "هل سند هذه الرواية صحيح، وكيف يتفق مع أخبار ردة أغلب الصحابة؟".

فقال السيستاني في الفتوى المختومة بختمه وعلى موقعه:

"على تقدير صحة سند الرواية، فهي لا تنافي ما دل على ردة أغلب الصحابة ..لأن الارتداد كان بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ولعله كان من باب سوء العاقبة".

وإنما ننقل كلامهم لعل نائماً يصحو... أوغافلاً ينتبه..

الشيرازي الإيراني، نائب السيستاني في حقن السموم:

في كلمة صوتية لمن يُدعى "آية الله العظمى": صادق الحسيني الشيرازي، أعلى المرجعيات الدينية في كربلاء، ذكر ذلك الدعيّ الشيعي خلال كلامه عن قول الله تعالى: "إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ". أنها نزلت في المجاهدين، للأمريكيين وأعوانهم من أهل السنة، وتكلم بألفاظ وأحكام وعبارات تقشعر منها الأبدان، وننقلها بحروفها لأهميتها في الدلالة على العقيدة التكفيرية الشيعية.

قال الشيرازي: الوهابي.. الإرهابي.. الكافر.. الناصب.. المتوحش، إذا لم يكن مصداق هذه الآية، فمن يكون إذن مصداق الآية الكريمة؟ والذين يؤيدون الوهابيين الإرهابيين الكفرة النواصب الوحوش من رجال الدين، ومن غير رجال الدين، بنحو أو بآخر، إن لم يكونوا مصاديق الآية الكريمة، فمن يكون؟ إذا كنا نكفر بالقرآن الكريم، فلنكن شجعاناً نصرح بما نعتقد، أما إذا كنا نؤمن بالقرآن الكريم، فالوهابي الإرهابي الكافر الناصب الوحشي يجب قتله، وكل من يؤيده بنحو أو بآخر، من رجل دين أو غير رجل دين يجب قتله، ومن لم يقل بوجوب قتل هؤلاء، ووجوب قتل مؤيديهم، فهو علانية يكفر بالقرآن الكريم، مو مشكلة.. الشيوعي أيضاً يكفر بالقرآن الكريم، ولكن الشيوعي يملك شجاعة أدبية، فخليهم يمتلكون شجاعة أدبية...

ويتابع قائلاً: شيء آخر، الله يقول في القرآن الكريم: "وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ"، إخواني: هذه الآيات الكريمات الواردات في مسجد الضرار، تنطبق على المساجد التي يتخذها الإرهابيون الوهابيون الكفرة النواصب الوحوش محاور لنشاطهم؛ فكل هذه المساجد يجب أن تدمر وتهدم وتحرق، وإلا فنكون كافرين بالقرآن الكريم.

ودعا الشيرازي في كلمته المسمومة إلى الحسم مع من سماهم (العلماء البكريين) نسبة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ويقصد كل علماء أهل السنة فقال: "إن كل من لا يستنكر ولا يشجب أعمال الوهابيين الإرهابيين، يجب أن يعامل بمثل المعاملة التي يعامل بها الإرهابيون الوهابيون". وختم بقوله: "الوهابي الإرهابي ضد الله وضد الإسلام وضد القرآن وضد رسول الله، وضد أمير المؤمنين، وضد سيدة نساء العالمين، وضد سائر المعصومين، وهم يقتلون المسلمين -أعني الشيعة- لأنهم موالون لله وللقرآن ولأهل البيت" انتهى قوله.

مقتدى الصدر.. وموقفه من علماء العراق السنة

في تصريح لافت لمقتدى الصدر في أثناء زيارته للكويت في 2006/05/7 قال: "إن القوات الأمريكية جاءت إلى العراق وفقاً لمعتقدات دينية، للتصدي لظهور المهدي في العراق"!

وبدلاً من أن "يتصدى" هو وأشباهه لجنود الاحتلال في العراق، نراه يضم صوته، ويجرد سوطه للحرب على من أسماهم: "التكفيريين الوهابيين"، وقد دعا في 1427/02/14هـ، إلى (البراءة) منهم، وقال موجهاً كلامه إلى هيئة علماء المسلمين السنة في العراق: "كنت أُحسن الظن بكم.. ولكن من لا يتبرأ من التكفيريين فهو تكفيري". وقال: "لديَّ القدرة على أن أحارب النواصب"..! ما شاء الله!

في حين لم نسمع منه دعوة للبراءة ممن نفذوا فتوى الشيرازي بحرفية فائقة، فدمروا العديد من المساجد، وقتلوا أئمتها وحرقوا مصاحفها، وقتلوا الآلاف من عامة أهل السنة حتى بلغ عدد القتلى من السنة في عهد الجعفري السفاح فقط: 40ألف قتيل، كما صرَّح الشيخ حارث الضاري، ومع هذا تكررت دعوات مقتدى الصدر للتصدي للمقاومين وقال في تصريح لوسائل الإعلام في 2005/08/9 "نطالب باجتثاث البعثيين والوهابيين والتكفيريين".

وللأسف الشديد يستغل الشيعة الروافض التعتيم الإعلامي الأمريكي على ما يجري في العراق، فيعيثون فسادا فيه بهدم المساجد وقتل المدنيين السنة حيث يستفيق العراقيون السنة كل يوم على نبإ وجود عشرات الجثث مقطوعة الرأس أغلبها يتم اعتقاله من بيته على يد شيعيين ثم يعذب ويقتل ويرمى به، وهذا ما وقع لأكثر العلماء السنة وخطباء المساجد.

كما أن هذه التهم الموجهة إلى الشيعة أصبحت حقيقة مطلقة عند العراقيين، مما حدا بهيئة علماء المسلمين في العراق إلى التصريح بذلك في كل مناسبة.

فمتى يفهم المسلمون أن الشيعة لا يمكن أن يخدموا مصالح السنة، فالوضع في العراق يميط اللثام عن حقيقة الحرب في جنوب لبنان؟ فلا ينبغي للمسلم أن يغتر .

العدد 14 - 07 شعبان 1427 الموافق لـ 01 سبتمبر 2006

الفهم.. الفهم..

إن الإستضاءة بكلام العلماء والفقهاء لفهم النصوص الشرعية سنة متبعة ماضية عند السلف والخلف. انظر "الروح" (264)

إلا أن الكثير ممن يبحث في ذلك ينقل عن العلماء المذاهب الباطلة بالأفهام القاصرة، مما يدل على قلة الفقه والدراية، حتى يصل الجهل بالإنسان إلا أنه يريد حمل الناس على ذلك والدعوة إليه، وجعله المقياس والميزان للعلم الصحيح والمنهج الفصيح، وعيب هذا مما لا يخف ولا يرتض.

قال ابن القيم رحمه الله: "..ما أكثر ما ينقل الناس المذاهب الباطلة عن العلماء بالأفهام القاصرة" اهـ "المدارج".

وهذا مما يدل على أن للفهم الصحيح منزلة رفيعة ومكانة عظيمة في باب العلم حتى بوب الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه باب في خصوص ذلك فقال: "باب الفهم في العلم". (1/39)

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "والعلم له مبدأ وهو قوة العقل الذي هو الحفظ والفهم" اهـ (الاقتضاء 160).

فمن رزق الفهم الصحيح فقد رزق نعمة جليلة من أعظم نعم الله تعالى على عباده.

قال ابن القيم رحمه الله: "صحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عبده، بل ما أعطي عبد عطاء بعد الإسلام أفضل ولا أجل منهما، بل هما ساقا الإسلام وقيامه عليهما، وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم، وطريق الضالين الذين فسدت فهومهم". "إعلام الموقعين" (1/87)

فالعلم والفقه - إذن- أساسه صحة الأفهام لا مجرد الإكثار من الكلام، كما قال الخطيب البغدادي رحمه الله في "جامعه": "العلم الفهم والدراية، وليس بالإكثار والتوسع في الرواية" اهـ.

يا سائلي عن نكد الحيـــاة	ونابذي الأعلام والدعـــاة
وجاعلي عقولهم أنـــوارا	يعدلون الناس والأخيـــارا
نظرتهم من زمن بعيـــد	بالفصص والأناة والتحديد
فلم أر بعد هدوء البـــال	غير وبال السادة الجهـــال
جاؤوا إلى دويرة العلـــوم	من غير تحقيق ولا فهـــوم

صاحب السنة في نعمة وسعادة ونجاة وسلامة

عبد الله الحمداوي

عجبا لحال الكثير من الناس في هذه الأزمان ضعف عندهم التمسك بالسنة، والذب عنها. لا في المسائل العملية فحسب بل تعداه إلى المسائل العلمية والعقدية- وما علموا أن شرف المؤمن ومنزلته تقاس باتباعه للسنة وحبه لاقتفاء أثرها، فكلما كان العبد تحريه للسنة وحبه لها وذبها عنها أكثر، كان بالدرجات العلا أحق وأولى وأجدر.

قال تعالى: "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً".

قال الجنيد رحمه الله: "الطرق كلها مسدودة، إلا على المقتفين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم والمتبعين سنته وطريقته، فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه كما قال تعالى: "(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)".

وقال عروة بن الزبير: "السنن –أي الزموا السنن السنن- فإن السنة قِوَامُ الدين".

وكان الإمام بهلول بن راشد المالكي رحمه الله كثيرا ما يسمع منه قوله: "السنة السنة" ويُلِحُّ عليها.

وقال أبو بكر بن عياش: "السنة في الإسلام: أعز من الإسلام في سائر الاديان".

ومن أعظم الأمور التي تعين على التمسك بالسنة، مصاحبة أهلها والحذر من مخالفيها، فإن الصاحب ساحب، قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل".

قال الناظم:

أنت في الناس تقـاس	بالذي اخترت خليلا
فاصحب الأخيار تعلوا	وتنل ذكرا جميـــلا

فما كل أحد يعاشَرُ ويسارَر ولا يصاحَب كما قال القرافي رحمه الله بل لا بد أن يتصف الصاحب بصفات تؤهله لذلك،

ومن أهمها أن لا يكون صاحب بدعة كما بينه الغزالي رحمه الله في الإحياء.

وما ذاك إلا لأن صحبة المبتدع تورث الشبهة كما أن صحبة الفاسق تورث الشهوة.

قال أحد السلف: "صحبة أهل البدع تورث الإعراض عن الحق".

وقال سفيان الثوري رحمه الله: "من سمع من مبتدع لم ينفعه الله بما سمع".

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: "من جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة".

فاحذر -إذن- من صحبة أهل الأهواء والبدعة وعليك بصحبة أهل السنة فإن صحبتهم نعمة وسعادة ونجاة وسلامة.

قال ابن شوذب رحمه الله: "إن من نعمة الله على الشاب إذا تمسك أن يؤاخي صاحب سنة، يحمله عليها".

وقال أيوب السختياني رحمه الله: "إن من سعادة الحدث والأعجمي أن يوفقهما الله لعالم من أهل السنة".

وقال ابن أسباط رحمه الله: "كان أبي قدريا وأخوالي روافض، فأنقذني الله بسفيان".

ولما علم السلف الصالح رضوان الله عليهم أهمية صاحب السنة وصحبته وملاقاته، كانوا يحزنون لوفاته، كما كانوا يفرحون بوجوده.

قال أيوب السختياني رحمه الله: "إني لأخبر بموت الرجل من أهل السنة، فكأني أفقد بعض أعضائي".

وقال يوسف بن أسباط رحمه الله: "إذا بلغك عن رجل بالمشرق أنه صاحب سنة، فابعث إليه بالسلام، فقد قل أهل السنة".

الصبر على حفظ اللسان في زمن الفتن خاصة

اللسان من أخطر خلق الله جل وعلا في جسم الإنسان ولذا قال تعالى منبها عباده إلى ذلك: "وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً".

وقد كان العلماء قديما يقولون عن اللسان: جِرمه صغير، وجُرمه كبير.

فأيسر حركات الجوارح حركة اللسان، وهي أضرها على العبد.

ومن ثم قالوا يجب على العبد أن يكف لسانه، وأن يحفظ منطقه، من الخوض في كل باطل في جميع الأوقات وعند مختلف الأحوال.

قال الإمام النووي رحمه الله: "اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام، إلا كلاما تظهر المصلحة فيه، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الإمساك عنه، لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام، أو مكروه، بل هذا كثير غالب في العادة والسلامة لا يعدلها شيء" الأذكار 516.

ويتأكد حفظ اللسان وصون المنطق زمن الفتن وعند ظهور المحن والفتن ففيها يكثر القال والقيل، وكل كلام عليل، وتكثر الشائعات والأباطيل، ويقل الكلام بالعلم والتأصيل.

قال ابن بطة رحمه الله: "إن هذه الفتن والأهواء قد فضحت خلقا كثيرا، وكشفت أستارهم عن أصول قبيحة، فإن أصون الناس لنفسه أحفظهم للسانه، وأشغلهم بدينه، وأتركهم لما لا يعنيه" الإبانة الكبرى.

قال عليه الصلاة والسلام: "إذا رأيت الناس مرجت عهودهم، وخفت أماناتهم وكانوا هكذا - وشبك بين أنامله - فالزَم بيتك، واملك عليك لسانك، وخذ ما تعرف ودع ما تنكر، وعليك بخاصة أمر نفسك، ودع عنك أمر العامة" اهـ، صحيح الجامع (563).

قال صاحب "عون المعبود" (334/11): "(وأملك) أمر من الإملاك بمعنى الشدة والإحكام، أي أمسك (عليك لسانك) ولا تتكلم في أحوال الناس كيلا يؤذوك" اهـ.

وقال المناوي رحمه الله: "(وأملك) بقطع الهمزة وكسر اللام (عليك لسانك) أي احفظه وصنه، ولا تخيِّره إلا فيما لك لا عليك، وامسكه عما لا يعنيك" اهـ، فيض القدير (1/353).

فهذا الحديث يبين ضرورة حفظ اللسان وكفه - عند تغير أحوال الناس خاصة - عن كل ما لا يعني المرء وما لم يتحققه ويتبين منه، فضلا عن إمساكه عن كل باطل، ففي ذلك السلامة والنجاة كما بينه نبينا عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله ما النجاة؟ قال: "أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك" اهـ، صحيح الترغيب والترهيب.

قال المباركفوري رحمه الله: "قوله (ما النجاة) أي ما سببها (قال: أمسك عليك لسانك) أمر من الملك..

قال الطيبي أي: احفظه عما لا خير فيه.

وقال صاحب "النهاية" أي: لا تخيِّره إلا بما يكون لك لا عليك" اهـ (تحفة الأحوذي 74/7).

" ففي اللسان آفتان عظيمتان إن خلص العبد من إحداهما لم يخلص من الأخرى: آفة الكلام، وآفة السكوت، وقد يكون كل منهما أعظم من الأخرى في وقتها، فالساكت عن الحق شيطان أخرس عاص لله مراء مداهن إذا لم يخف على نفسه، والمتكلم بالباطل ناطق عاص لله وأكثر الخلق منحرف في كلامه وسكوته فهم بين هذين النوعين، وأهل الوسط وهم أهل الصراط المستقيم، كفوا ألسنتهم عن الباطل وأطلقوها فيما يعود عليهم نفعه في الآخرة" من كلام ابن القيم رحمه الله في "الجواب الكافي" بتصرف يسير (110).

العدد 14 - 07 شعبان 1427 الموافق لـ 01 سبتمبر 2006

الحنيفية وإخلاص الدين لله وحده

الميل عن الشرك إلى التوحيد شرعة نبي الله إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والتسليم، وهو الطريق القويم الذي لا اعوجاج فيه، وهو حقيقة الحنيفية التي أمرنا الله تبارك وتعالى أن نكون عليها كما في قوله :(وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء).

قال البيضاوي رحمه الله في تفسيره 516: "(وَمَا أُمِرُوا) أي في كتبهم بما فيها (إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّين) لا يشركون به (حُنَفَاء) مائلين عن العقائد الزائفة".

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله عند تفسير لقوله تعالى :(مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً): "أي متحنفا عن الشرك قاصدا إلى الإيمان".

فالميل عن الشرك إلى عبادة الله وحده مخلصا له الدين هو أساس الإسلام، وبذلك أمر الله جل وعلا سائر الأنام بل خلقهم تعالى لذلك، كما قال :(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ).

وعبادة الله جل وعلا تشتمل على ثلاث قيود:

- التوحيد والإفراد.
- الخضوع والذل.
- تمام المحبة وكمال الطاعة.

فإذا اجتمعت في الإنسان هذه الثلاثة فقد اجتمعت فيه العبادة حقا على وجه التمام.

والآية السابقة الذكر دالة على حصر مقصد الخلق في علة واحدة ألا وهي عبادة الله وحده، لأن أسلوب النفي المتبع بالإستثناء هو أعلى أدوات وأساليب القصر والحصر عند البلاغيين.

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله في تفسيره للآية: "واختلفوا في هذه الآية على أربعة أقوال: أحدها: إلا لآمرهم أن يعبدون، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه واختاره الزجاج.

الثاني: إلا ليقِرُّوا بالعبودية طوعا وكرها، قاله ابن عباس رضي الله عنه..

والثالث: أنه خاص في حق المؤمنين..

الرابع: إلا ليخضعوا إليَّ ويتذللوا.." زاد المسير 42/8.

قال الناظم:

إن الحنيفية خير ملـــــة ... ملة إبراهيم حليف الخـلة
أن تعبد الله موحدا لـــه ... ومخلصا الطاعة لا تمـوه
بذاك أمر الله في العباد ... قد جاء يحدوهم إلى السداد
وخلقنا لها أتى بالحصر ... وما خلقت الجن فاتل تـدر

من مصابيح السبيل

التعيير في قالب النصح

قال الإمام ابن حبان رحمه الله "ومن أظهر التعيير إظهارُ السوء وإشاعتُه في قالب النصح، وزعمَ أنه إنما يحمله على ذلك العيوب إما عاماً أو خاصاً، وكان في الباطن إنما غرضه التعيير والأذى، فهو من إخوان المنافقين الذين ذمهم الله في مواضع من كتابه، فإن الله تعالى ذم من أظهر فعلاً أو قولاً حسناً وأراد به التوصل إلى غرض فاسد يقصده في الباطن، وعدَّ ذلك من خصال النفاق كما في سورة براءة التي هتك فيها المنافقين وفضحهم بأوصافهم الخبيثة : "وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ" (التوبة:107).

وقال تعالى:(لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (آل عمران:188)، وهذه الآية نزلت في اليهود لما سألهم النبي صلى اله عليه وسلم عن شيء فكتموه وأخبروه بغيره، وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك عليه، وفرحوا بما أتوا من كتمانه وما سألهم عنه، كذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما وحديثه بذلك مخرّج في الصحيحين وغيرهما.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رجالاً من المنافقين كانوا إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغزو تخلّفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا قدِم رسول الله اعتذروا إليه وحلفوا وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت هذه الآية.

فهذه الخصال خصال اليهود والمنافقين وهو أن يظهر الإنسان في الظاهر قولاً أو فعلاً وهو في الصورة التي ظهر عليها حسن، ومقصوده بذلك التوصل إلى غرض فاسد، فيحمده على ما أظهر من ذلك الحسن ويتوصل هو به إلى غرضه الفاسد الذي هو أبطنه، ويفرح هو بحمده على ذلك الذي أظهر أنه حسن وفي الباطن شيء، وعلى توصله في الباطن إلى غرضه السيء فتتم له الفائدة وتُنَفَّذُ له الحيلة بهذا الخداع.

ومن كانت هذه همته فهو داخل في هذه الآية ولا بد فهو متوعد بالعذاب الأليم.

ومثال ذلك: أن يريد الإنسان ذمَّ رجل وتنقصه وإظهار عيبه لينفر الناس عنه، إما محبة لإيذائه [أو] لعداوته أو مخافة من مزاحمته على مال أو رئاسة أو غير ذلك من الأسباب المذمومة، فلا يتوصل إلى ذلك إلا بإظهار الطعن فيه بسبب ديني، مثل: أن يكون قد ردَّ قولاً ضعيفاً من أقوال عالم مشهور، فيشيع بين من يعظِّم ذلك العالم أن فلاناً يُبغضُ هذا العالم ويذمُّه ويطعن عليه، فيغرُّ بذلك كل من يعظِّمه ويوهمهم أن بغض الراد وأذاه من أعمال القرب لأنه ذبٌّ عن ذلك العالم ورفع الأذى عنه، وذلك قُربة إلى تعالى وطاعته **فيجمع هذا المظهر للنصح بين أمرين قبيحين محرَّمين:**

أحدهما: أن يحمل ردَّ العالم القول الآخر على البغض والطعن والهوى، وقد يكون إنما أراد به النصح للمؤمنين وإظهار ما لا يحل له كتمانه من العلم.

الثاني: أن يظهر الطعن عليه ليتوصل بذلك إلى هواه وغرضه الفاسد في قالب النصح والذب عن علماء الشرع، وبمثل هذه المكيدة كان ظُلم بني مروان وأتباعهم يستميلون الناس إليهم وينفِّرون قلوبهم عن علي بن أبي طالب والحسن والحسين وذريتهم رضي الله عنهم أجمعين." (الفرق بين النصيحة و التعيير).

لماذا الرجوع إلى العلماء

ما أكثر ما يأتي الشيطان إلى صاحب الدين الراغب في نصرة المسلمين والغيور على دين رب العالمين من هذه الجهة، فيقوده إلى الغلو والانحراف في الدين، تارة تحت مسمى الجهاد بلا شرط ولا ضوابط ولا إعداد، وتارة تحت مسمى الولاء والبراء دون سير على نهج السلف الأجلاء، أو تحت مسمى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا فقه ولا قواعد تذكر.

وهذا ما حصل للخوارج قديما وحديثا، فشحنوا النفوس بالقيل والقال، والدعوات الباطلات، وبثوا في الأمة الشبهات، فجروا إليها الويلات، فصارت المعركة داخل الأمة بعد شيوع الخلافات وما عملوا لجهلهم بأن تفويت الفرصة على الأعداء من عمل أصحاب العقول النيرات، فنشكوا حالنا إلى رب الأرض والسماوات.

وأصل هذا الإنحراف وأساسه الخروج عن طريقة فقهاء الأمة، والإعراض عن نهج حكماء الملة، والتولي عن سبيل علماء السنة.

فلماذا الرجوع إلى العلماء؟ ولماذا على نهج الفقهاء؟

فنقول جوابا لأن:

1- العلماء هم أهل الفقه والأثر، وأصحاب الاستنباط والنظر.

قال تعالى: "وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً"

قال البيضاوي رحمه الله: "(إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ) إلى رأيه ورأي كبار أصحابه البصراء بالأمور أو الأمراء (لَعَلِمَهُ) لعلموا ما أخبروا به على أي وجه يذكر (الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ) يستخرجون تدابيره بتجاربهم وأنظارهم" تفسير البيضاوي 225.

2 العلماء هم أهل الثبات والاطمئنان والرسوخ، قال الإمام ابن القيم رحمه الله واصفا شيخه ابن تيمية رحمه الله: "وعلم الله ما رأيت أحدا أطيب عيشا منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشا وأشرحهم صدرا، وأقواهم قلبا وأسرهم نفسا، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد منا الخوف وساءت منا الظنون وضاقت بنا الأرض، آتيناه فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله وينقلب انشراحا وقوة ويقينا وطمأنينة" الوابل الصيب67.

3- العلماء أهل معرفة بعلامات الفتن وبوادر إقبال المحن والإحن.

قال الحسن البصري رحمه الله: "الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم، وإذا أدبرت عرفها كل جاهل".

4 العلماء ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين كما في الحديث المشهور.

"قال الإمام أحمد رحمه الله في خطبته المشهورة في كتابه في الرد على الزنادقة والجهمية: الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل، بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويحيون بكتاب الله تعالى الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس وما أقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عنان الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتنة المضلين" إعلام الموقعين 91.

العدد 14 - 07 شعبان 1427 الموافق لـ 01 شتنبر 2006

لماذا اخترنا الملف؟

من المعلوم بدهيا لدى كل مسلم أن انتشار الإسلام في بقاع الأرض ضمّ في إطاره الكثير من الأعراق والشعوب والبلاد، وكتب لهم تاريخاً جديدا وقطع الصلة بما كان قبله، ورتَّب حياتهم على أساس الولاء للإسلام وحده، وكوَّن من كل هذه الأعراق أمة واحدة تَتَّفق في الاعتقاد وفي التشريع المنظم للحياة الروحية والمادية.

وقد كان الإسلام هو السِّمة الأساسية لهذه الشعوب والأعراق التي تكونت في رحابه، وتحت حكمه وفي ظله، وعلى ضوئه قام المجتمع الإسلامي والحضارة الإسلامية، وأصبحت اللغة العربية وعلومها وأدابها تاجاً يتزين به كل عالمٍ في هذه الأمة من العرب أو من غيرهم؟

بل لقد برز غير العرب كعلماء ترجع إليهم الأمة في مختلف المعارف، وكانت الأعراق تكّون أمة واحدة إذا اشتكى منها عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

هذا كله طبعا كان في زمن الخلافة، ذاك الزمن الذي كان يحسب فيه الغرب للشرق -المسلمون- ألف حساب قبل أن يقدم على أي عمل من شأنه أن يثير غضب المسلمين، واليوم وبعد أن انفرط عقد الخلافة وتخلى المسلمون عن دينهم الذي هو مصدر تشريعهم وسر عزتهم ووحدتهم، واستعاضوا عنه بالمناهج الباطلة من قومية واشتراكية وعلمانية وليبرالية، أصبحوا من الهوان على أعدائهم بحيث تغتصب نساء المسلمين في أبي غريب، وتقتل أطفالهم في فلسطين ولبنان، وتستباح أراضيهم في العراق الجريح، فيبقى الوضع على ما هو عليه دون أي عمل يربو عن التنديد والاستنكار .

إن الذل والهوان الذي أصيبت به الأمة إنما طرأ بعد ما وقع التنازع والاختلاف، فصدق عليها قول ربها سبحانه :"وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ"الأنفال. فلما اعتصمت بغير حبل ربها وخالفت هدي نبيها وتمسكت بالقوميات بدل عقيدة الولاء والبراء دب إليها داء التنازع والاختلاف فهانت على أضعف أعدائها.

ولعل أبرز وأخطر ما ابتلي به المسلمون تلك النزعة الشعوبية القومية، التي كانت معول الهدم الذي أعمله يهود الدُونمة في جسم الخلافة الإسلامية، فتنادى الأتراك إلى تتريك الدولة وروجوا للقومية الطورانية، ودعا العرب إلى القومية العربية وتعصبوا لها حتى قاتلوا إلى جانب الإنجليز النصارى ضد إخوانهم المسلمين العثمانيين، فتتالت الأحداث وتعاقبت الوقائع فأصبحت القومية العربية دينا يوحد بين المسلم واليهودي والنصراني، وأنشئت لها الجامعة العربية التي كرَّست التنازع والتدابر بدل أن تقضي عليه، وتكفلت بمهمة قطع الطريق على أي حل إسلامي يوحد بين المسلمين تحت راية الإسلام.

ومعلوم أن رابطة الإسلام أكبر وأجل من رابطة العروبة، فكيف نستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.

أبي الإسلام لا أبا لي ســــواه

إذا افتخـــــروا بقيس أو تميم

فنظرا لما جنته القومية العربية على الأمة من شتات وضعف ما زلنا نعيشه إلى يومنا هذا، ارتأينا أن نعد هذا الملف.

تاريخ فكرة القومية: الوحدة والتكتل الغربي مقابل التشتت والتمزق العربي

الملف من إعداد: نبيل غزال

القومية أو الوطنية أو القبلية أو الحزبية أو النعرات العرقية أو الطائفية أو ما أشبه ذلك كلها يجمعها أنها تنافي وتخالف هذا الأصل العظيم -التفاضل بين الناس بالتقوى-، وإذا أردنا أن نرجع إلى تاريخ القومية القديم فإننا نجد أكثر الناس غلواً في القومية وفي العنصرية -ولا يزالون إلى اليوم- هم اليهود. ربما يكون لليهود السبق وتعليم غيرهم من الأمم التعصب العرقي الذميم المغالى فيه جداً، فإن الأمم الأخرى وإن كانت كل أمة تتعصب لقوميتها إلا أنها لم تبلغ حداً يفوق اليهود، وإنما أكثر الأمم قوميةً ظهرت تبعاً لليهود كما حدث للقومية النازية في ألمانيا أو الفاشية في إيطاليا، فهي ظهرت متأثرة بالفكر اليهودي.

واليهود هم أكثر الناس عنصرية وقومية وذكر الله تبارك وتعالى عنهم ما يدل على ذلك في القرآن في مواضع كما قال الله عز وجل: "وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ" يدعون أنهم أبناء الله وأحباؤه ويدعي اليهود أنهم شعب الله المختار، وأيضاً كما ذكر الله عز وجل: "..قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ"، "وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ" فيرون استحلال أموالَ غير اليهود وأن أموال الأميين هي حلال لليهود!

وفي العصر الحديث برزت فكرة القومية بشكل وطني عندما ظهرت الثورة الفرنسية إذ لم يكن لهذه الأخيرة أي طابع ديني وإنما كانت وطنية تعتبر الناس جميعاً متساوين في الوطنية، فلا ينظر إلى أديانهم ولا إلى عقائدهم ومللهم، هذه فكرة كانت جديدة على الناس سواء في بلاد الغرب أو الشرق لأن الناس إنما يتفاضلون بحسب الدين، وكل إنسان يرى أنه أفضل من غيره ديناً، ومهما كان المخالف له في الدين فإنه يحتقره. لكن الذين وضعوا أفكار الثورة الفرنسية كانوا معادين للدين لأسباب ولظروف خاصة، فكانوا يأخذون من الفكر اليوناني القديم ومن الأفكار التي ظهرت في أوروبا ونمت وترعرعت شيئاً فشيئاً بعد ظهور حركة الإصلاح الديني، فعندما كان هذا الفكر بعيدا عن الدين جمعوا الأمة كما يزعمون على أساس وطني.

في ذلك الوقت، لم يكن المسلمون يعرفون أي شيء عن الفكرة القومية ولا الوطنية إلى أن ظهرت في مصر فأصبح الافتخار بمصر وبأمجاد مصر وبالفراعنة وما قبل الفراعنة تأثراً بالذين ابْتعِثوا لفرنسا وتأثروا بفكرة الوطنية الفرنسية، ونشأت دعوة قوية جداً إلى الوطنية حتى كانت كل الأحزاب على اختلافها تدعو وتفخر بالوطنية.

حزب الوفد - وسعد زغلول - كان وطنياً، وكذلك مصطفى كامل كان وطنياً جداً رغم عداوته لسعد زغلول ورغم ما عنده من مسحة إسلامية لكن كان هو الذي يقول (لو لم أكن مصرياً لتمنيت أن أكون مصرياً). أحمد شوقي، حافظ إبراهيم، وغيرهم من الشعراء كانوا شعراء وطنيون قلّ أن تجد لهم شيئا من الشعر الذي يفتخر بالعرب أو بالعالم الإسلامي إلا أحياناً، إنما الأصل عندهم في الفخر هو بالوطنية ونوع من الامتزاج بالقومية لكن لم تظهر ملامحه ولم تتضح في تلك المرحلة.

ثم ظهرت فكرة القومية العربية والقومية التركية، القومية العربية أول من دعى إليها وأظهرها كقومية عربية هم النصارى العرب، وهؤلاء النصارى أكثرهم في بلاد الشام، أما الأقباط الذين كانوا في مصر فلم يكونوا يفكرون في قومية عربية بل ولا حتى في وطنية مصرية إنما كان همهم هو التبعية للغرب وللمستعمر.

الذي حدث أن الدولة العثمانية ضغطت على نصارى الشام فهاجرت طوائف كبيرة منهم إلى مصر، وهناك أسسوا جريدة الأهرام ومجلة المقتطف وغيرها، وبدأوا يَبُثون الفكر القومي في مصر فأصبح منتشراً في مصر إلى حد ما، وكذلك في بلاد الشام وهي مقره ولا سيما في لبنان لأن النصارى كانوا في منطقة جبل لبنان، وهناك تركزت الفكرة أو الدعوة النصرانية القومية وأيَّدها الغرب كما قال "برنارد لويس" في كتابه "الغرب والشرق الأوسط":(تبنى الغرب القومية العربية لماذا؟ لتكون معولاً لهدم الإسلام)! ليضرب بها الإسلام فتختلف آصرة التجمع عند العرب والترك على الإسلام فينفصلون عن الترك وعن الهنود وغيرهم وتصبح القومية العربية فقط هي التي تجمعهم فيسهل تفتيتهم.

كانوا يريدون تفتيت الدولة العثمانية بأي شكل من الأشكال، ففي الدول العربية أظهروا فكرة القومية العربية ونشأت منها جمعيات: "جمعية العربية الفتاة" وما تفرع عنها، "الجمعية القحطانية"، "جمعية العهد"، "الجمعية العربية".. إلخ، فأصبح النصارى العرب يتغنون بأمجاد الأمة العربية بأشعار ومنشورات وكتب ألفوها، وكذلك أصبحت الدعوة في تركيا إلى القومية الطورانية التركية، والذين دعوا إلى القومية الطورانية التركية كانوا من اليهود وهذا شيء ثابت حتى أن أحد المؤرخين الأمريكان اسمه "واطسن" يقول: أنه لا يوجد أحد في حركة الاتحاد والترقي - الحركة القومية التركية - من أصل تركي حقيقي، وإنما هم من اليهود وغيرهم! والذين يدعون إلى القومية العربية ليس فيهم في الأصل ولا واحد مسلم وأكثرهم أيضاً أصولهم أعجمية ونصارى! هنا يجد الإنسان المفارقة ويعلم أنها كانت كلها تهدف لتحقيق التمزق والفرقة بين المسلمين لمعرفتهم بأخطار الحركة القومية في أوروبا التي قد عانت وذاقت الأمرين من الفكر القومي والتمزق القومي، فجاءت وصدَّرت هذا الفكر إلى العالم الإسلامي، فظهرت الدعوة الطورانية أو التركية وأرادت أن تفرض اللغة التركية على جميع العرب، وفي المقابل يظهر الدعاة القوميون العرب - وأكثرهم من النصارى ثم تبعهم الشيعة والدروز وأمثالهم - ويقولون العروبة واللغة العربية والأمة العربية.

وبعد الحرب العالمية الثانية وقع ميثاق جامعة الدول العربية، ثم ظهرت هذه الأحزاب وأسس حزب البعث، فلما ظهر المعسكر الشرقي الاشتراكي اندمجت الفكرة الاشتراكية في الحركات القومية والوطنية -لأنها كلها مستوردة من الغرب- فقامت الثورة المصرية وحَوَّلَها جمال عبد الناصر من فكرة وطنية إلى فكرة قومية، وقبل جمال عبد الناصر لا تجد في مصر إلا إشارات إلى العرب أو العروبة ككل، وإنما كانت الفكرة الراسخة في مناهج التعليم وفي الصحافة والإعلام والشعر هي الشعارات الوطنية الفرعونية...إلخ، وبعد أن جاء جمال عبد الناصر أنشأ إذاعة صوت العرب، والصحافة العربية، والفكر العربي، والأمة العربية من المحيط إلى الخليج ، فأجج الفكر العربي القومي.

العدد 14 - 07 شعبان 1427 الموافق لـ 01 سبتمبر 2006

القومية من المنظور الشرعي

من المعلوم من دين الإسلام بالضرورة أن الدعوة إلى القومية العربية أو غيرها من القوميات، دعوة باطلة وخطأ عظيم، ومنكر ظاهر، وجاهلية وكيد سافر للإسلام وأهله، وذلك لوجوه:

الأول: أن الدعوة إلى القومية العربية تفرق بين المسلمين، وتفصل المسلم العجمي عن أخيه العربي، وتفرق بين العرب أنفسهم، لأنهم كلهم ليسوا يرتضونها، وإنما يرضاها منهم قوم دون قوم، وكل فكرة تقسم المسلمين وتجعلهم أحزاباً فكرة باطلة، تخالف مقاصد الإسلام وما يرمي إليه، وذلك لأنه يدعو إلى الاجتماع والوئام، والتواصي بالحق والتعاون على البر والتقوى، كما يدل على ذلك قوله سبحانه: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ".

وقال تعالى: "هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ".

وقال تعالى: "مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ".

فلينظر كل مؤمن راغب في الحق كيف يحارب الإسلام التفرق والاختلاف، ويدعو إلى الاجتماع والوئام، والتمسك بحبل الحق والوفاة عليه، وسيعلم بذلك أن هدف القومية غير هدف الإسلام، وأن مقاصدها تخالف مقاصد الإسلام، ويدل على ذلك أيضا أن هذه الفكرة، أعني الدعوة إلى القومية العربية وردت إلينا من أعدائنا الغربيين، وكادوا بها للمسلمين، ويقصدون من ورائها فصل بعضهم عن بعض وتحطيم كيانهم، وتفريق شملهم، على قاعدتهم المشئومة (فرق تسد) وكم نالوا من الإسلام وأهله بهذه القاعدة النحيسة، مما يحزن القلوب ويدمي العيون.

ومما تقدم يعلم القارئ اليقظ أن الدعوة إلى القومية العربية -كما أنها إساءة إلى الإسلام ومحاربة له في بلاده- فهي أيضا إساءة إلى العرب أنفسهم، وجناية عليهم عظيمة، لكونها تفصلهم عن الإسلام الذي هو مجدهم الأكبر، وشرفهم الأعظم ومصدر عزهم وسيادتهم على العالم، فكيف يرضى عربي عاقل بدعوة هذا شأنها وهذه غايتها؟!

ورحم الله أبا الحسن الندوي إذ يقول في رسالته المشهورة "اسمعوها مني صريحة: أيها العرب": "فمن المؤسف المحزن المخجل أن يقوم في هذا الوقت في العالم العربي، رجال يدعون إلى القومية العربية المجردة من العقيدة والرسالة، وإلى قطع الصلة عن أعظم نبي عرفه تاريخ الإيمان، وعن أقوى شخصية ظهرت في العالم، وعن أمتن رابطة روحية تجمع بين الأمم والأفراد والأشتات، إنها جريمة قومية تبز جميع الجرائم القومية، التي سجلها تاريخ هذه الأمة، وإنها حركة هدم وتخريب، تفوق جميع الحركات الهدامة المعروفة في التاريخ، وإنها خطوة حاسمة مشئومة، في سبيل الدمار القومي والانتحار الاجتماعي" اهـ.

الوجه الثاني: أن الإسلام نهى عن دعوى الجاهلية وحذر منها، وأبدى في ذلك وأعاد في نصوص كثيرة بل قد جاءت النصوص تنهى عن جميع أخلاق الجاهلية، وأعمالهم إلا ما أقره الإسلام من ذلك، ولا ريب أن الدعوة إلى القومية العربية من أمر الجاهلية، لأنها دعوة إلى غير الإسلام، ومناصرة لغير الحق، وكم جرَّت الجاهلية على أهلها من ويلات وحروب طاحنة، وقودها النفوس والأموال والأعراض، وعاقبتها تمزيق الشمل وغرس العداوة والشحناء في القلوب، والتفريق بين القبائل والشعوب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن من نسب أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة، فهو من عزاء



الجاهلية، بل لما اختصمهم مهاجريّ وأنصاريّ، فقال المهاجري: يا للمهاجرين، وقال الأنصاري: يا للأنصار، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم" وغضب لذلك غضباً شديداً" اهـ.

وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد"، ولا ريب أن دعاة القومية يدعون إلى عصبية ويغضبون لعصبية ويقاتلون على عصبية، ولا ريب أيضا أن الدعوة إلى القومية تدعو إلى البغي والفخر، لأن القومية ليست ديناً سماوياً يمنع أهله من البغي والفخر، وإنما هي فكرة جاهلية تحمل أهلها على الفخر بها والتعصب لها على من نالها بشيء، وإن كانت هي الظالمة وغيرها المظلوم، فتأمل أيها القارئ ذلك يظهر لك وجه الحق.

ومن النصوص الواردة في ذلك ما رواه الترمذي وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء إنما هو مؤمن تقي أو فاجر شقي، الناس بنو آدم وآدم خلق من تراب ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى"، وهذا الحديث مصداق قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ" أوضح سبحانه بهذه الآية الكريمة أنه جعل الناس شعوباً وقبائل للتعارف لا للتفاخر والتعاظم، وجعل أكرمهم عنده هو أتقاهم، وهكذا يدل الحديث المذكور على هذا المعنى ويوضح سنة الجاهلية: التكبر والتفاخر بالأسلاف والأحساب، ويبين أن الإسلام بخلاف ذلك، يدعو إلى التواضع والتقوى والتحاب في الله، وأن يكون المسلمون الصادقون من سائر أجناس بني آدم جسداً واحداً، وبناءً واحداً يشد بعضهم بعضاً، ويألم بعضهم لبعض، كما في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا" وشبك بين أصابعه، وقال صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر".

فهل القومية تدعو إلى هذه الأخلاق الفاضلة، من الرحمة بالمسلمين من العرب والعجم، والعطف عليهم والتألم لآلامهم؟ لا والله، وإنما تدعو إلى موالاة من انخرط في سلكها، ونصب العداوة لمن تنكر لها، فتنبه أيها المسلم الراغب في النجاة، وانظر إلى حقائق الأمور بمرآة العدالة والتجرد من التعصب والهوى، حتى ترى الحقائق على ما هي عليه.

الوجه الثالث: أنها سلَّمٌ إلى موالاة اليهود والنصارى العرب وملاحدتهم واتخاذهم بطانة، والاستنصار بهم على أعداء القوميين من المسلمين وغيرهم، ومعلوم ما في هذا من الفساد الكبير، والمخالفة لنصوص القرآن والسنة، الدالة على وجوب البراءة من الكافرين من العرب وغيرهم، ومعاداتهم وتحريم موالاتهم واتخاذهم بطانة والنصوص في هذا المعنى كثيرة منها قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ، فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ" الآية، فسبحان الله ما أصدق قوله وأوضح بيانه، هؤلاء القوميون يدْعون إلى التكتل حول القومية العربية مسلمها وكافرها، يقولون: نخشى أن تصيبنا دائرة، نخشى أن يعود الاستعمار إلى بلادنا، نخشى أن تسلب ثرواتنا بأيدي أعدائنا، فيوالون لأجل ذلك كل عربي من يهود ونصارى، ومجوس ووثنيين وملاحدة وغيرهم، تحت لواء القومية العربية، ويقولون: إن نظامها لا يفرق بين عربي وعربي، وإن تفرقت أديانهم، فهل هذا إلا مصادمة لكتاب الله، ومخالفة لشرع الله، وتعد لحدود الله، وموالاة ومعاداة، وحب وبغض على غير دين الله؟

الوجه الرابع: من الوجوه الدالة على بطلان الدعوة إلى القومية العربية أن يقال: إن الدعوة إليها والتكتل حول رايتها يفضي بالمجتمع ولا بد إلى رفض حكم القرآن، لأن القوميين غير المسلمين لن يرضوا تحكيم القرآن، فيوجب ذلك لزعماء القومية أن يتخذوا أحكاما وضعية تخالف حكم القرآن، حتى يستوي مجتمع القومية في تلك الأحكام، وقد صرح الكثير منهم بذلك كما سلف، وهذا فساد عظيم، قال تعالى: "فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا".

العدد 14 - 07 شعبان 1427 الموافق لـ 01 شتنبر 2006

الجامعة العربية
المشروع البريطاني اليهودي والعلماني العربي

لقد ولدت الجامعة.. لغرض واضح من البداية: سلخ المسلمين العرب عن المسلمين غير العرب، لا لإعزاز العرب بغير الدين، ولكن طمعا في إذلال الدين بذل العرب، لهذا: فقد كان مرسوماً منذ البداية أن تكون الجامعة تجسيداً للذل العربي.

..إن شيئاً واحداً نجحت فيه العلمانية العربية بعد خمسين عاماً من العمل المؤسسي، وهو: الانتصار لكل المصالح، عدا مصلحة الأمة، وما أصدق كلمة أحمد الشقيري في كتابه (الجامعة العربية) عندما وصف الجامعة بأنها: "منظمة إقليمية، أنشئت لخدمة السياسة الغربية"

قبل الحديث عن الجامعة العربية لابد لنا من استحضار مشاهد سريعة من التاريخ الحديث، لاستظهار شواهد من واقع مرحلة البدء التي تمخضت عن ميلاد فكرة الجامعة العربية، ذلك أنه في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي وبداية القرن التاسع عشر، بدا أن دولة الخلافة العثمانية قد أصبحت مرشحة للسقوط، بسبب ما اعتراها من خلل في البنيان ودَخَل في المنهج، هذا في الوقت الذي كانت فيه دول العالم النصراني تتطلع إلى سقوطها وإلى موت (الرجل المريض) لاقتسام تركته، وكان اليهود أيضاً يتشوقون للحدث ويعملون في سبيل تحقيقه، ويرمقون الأحوال بشغف، عسى أن ينالهم نصيب من قسمة الميراث.

الجامعة العربية.. فكرة مَن؟

في أواخر حياته، سمع "تيودور هرتزل" (مؤسس فكرة الدولة اليهودية) بحركة تدعو إلى تجديد شباب الخلافة الإسلامية، وأطلقت هذه الحركة على نفسها (حركة الجامعة الإسلامية)، وكان من دعاتها الشيخ محمد رشيد رضا، فاغتمّ لهذه الحركة، وسرعان ما حركه حسُّه اليهودي الماكر من الاغتمام بالخبر إلى السعي إلى اغتنامه، وخطر له أن يجري اتصالاته لإقحام النصارى في المناداة بتحرير العرب من "استعمار" الترك، ولينادوا بالقومية العربية في مقابلة القومية التركية الطورانية التي رفع يهود تركيا عقيرتهم بها، وكان أن اتصل "هرتزل" بنجيب عازوري لمحاولة دمج حركته المسماة (اليقظة العربية) مع حركة (الجامعة الإسلامية)، ثم حدث أن قامت الحرب العالية الأولى سنة 1914م، ليكون من أهم نتائجها: هزيمة الدولة العثمانية المسلمة، والقضاء على دولة الخلافة، وما هي إلا أعوام ثلاثة حتى صدر "وعد بلفور" (وزير خارجية بريطانيا) بمنح اليهود وطناً قومياً في فلسطين، ثم تقوم الحرب العالمية الثانية، التي كان من أهم نتائجها، تقسيم بلاد العرب بين انجلترا وفرنسا، بمقتضى اتفاقية "سايكس بيكو" (وزيري خارجية البلدين)، وهكذا انفرط العقد الذي كان يجمع البلدان العربية والإسلامية برباط الإسلام، وأصرّ الأعداء على إيجاد رابطة بديلة لرابطة الانتماء للإسلام، وراج الكلام وزاد الضجيج حول (رابطة العروبة) بدلاً من (رابطة الإسلام)، (والجامعة العربية) بدلاً من (الجامعة الإسلامية).

وفي 29 مايو عام 1941م أدلى السياسي البريطاني المخضرم "إيدن" بتصريح في مجلس العموم البريطاني عبّر فيه عن استعداد بريطانيا لاحتضان الدعوة لإنشاء الجامعة العربية، وقال: إن العرب يتطلعون لنيل تأييدنا في مساعيهم لتحقيق فكرة (جامعة عربية) وقال: إنه سيكون لبريطانيا شرف السبق إلى تحقيق هذا المطلب!

وفي مصر، ندب حزب الوفد المصري (أعرق الأحزاب العلمانية) نفسه لتنفيذ الفكرة، فدعا زعيم الوفد مصطفى النحاس إلى إنشاء مؤتمر يبحث فكرة التنسيق بين الدول العربية، لترسيخ المبدأ القومي ثم الوطني على أساس الانتماء للعروبة، واقترح تشكيل لجنة تحضيرية لمؤتمر لهذا الشأن.

الجامعة العربية وتكريس الانقسام والهزيمة

وجاء اليوم الذي أعلن فيه عن تأسيس الجامعة العربية بعد أن أجهض اليهود والنصارى والعلمانيون مشروع الجامعة الإسلامية، وأعلن في 22 مارس عام 1945م، عن تأسيس الجامعة لتكون القاهرة مقرّاً لها، في وقت كانت مصر فيه لا تزال تحت الاحتلال الإنجليزي الذي أعطى الضوء الأخضر لقيام الجامعة التي تستطيع التعامل من خلالها مع العرب بأنها ليست ضد أماني العرب في الوحدة، وأدركت أنها من خلال سيطرتها على مصر، وسيطرة مصر على الجامعة، ستستطيع تمرير ما تتطلبه المرحلة من مناورات ومؤامرات.

لقد ولدت الجامعة إذن لغرض واضح من البداية: سلخ المسلمين العرب عن المسلمين غير العرب، لا لإعزاز العرب بغير الدين، ولكن طمعاً في إذلال الدين بذلّ العرب، لهذا: فقد كان مرسوماً منذ البداية أن تكون الجامعة تجسيداً للذل العربي، فهل نجحت بريطانيا -ومن بعدها أمريكا- في إنجاح الجامعة في هذه المهمة؟!

لنتأمل معاً.. ماذا أعلنت الجامعة من أهداف؟ وماذا تحقق منها في عالم الواقع؟ ما الذي تحقق لمصلحة العرب؟ وما الذي تحقق لمصلحة أعداء العرب؟

لقد نص ميثاق الجامعة منذ إنشائها على عدد من الأهداف الكبيرة منها:

- استكمال تحرير البلاد والشعوب العربية من الاحتلال الأجنبي، لاحظ التعبير: الشعوب العربية والعربية فقط! وماذا إذن عن الشعوب الإسلامية؟! لا ضير من احتلالها ما سلمت بلاد العرب، ومع هذا، هل سلمت بلاد العرب وتحررت شعوب العرب من الاحتلال الأجنبي؟

نسأل بعد خمسين عاماً من إعلان الميثاق ونترك الجواب للشعوب التي لا يزال يسيطر عليها الأجنبي ويخضعها لعسكره، بعد أن كانت خاضعة فقط لعسكره، نعم، لقد انتهى عصر سيطرة العسكر، وبدأ منذ زمان عصر سيطرة المعسكر، ومع هذا أيضاً: فلا يزال من بلاد العرب في ظل جامعة العرب، مَنْ لا يزال باقياً تحت سيطرة أذل العسكر (اليهود)، واسألوا فلسطين التي وضعت الجامعة بصمتها على صك بيعها في المعاهدات السلمية، بعد ستة حروب، هُزمت جيوش العرب في أولاها سنة 1948م وغابت في الثانية عام 1956م، وسحقت ونكست في الثالثة عام 1967م، وسحبت منها الثمرة في الرابعة 1973م، بينما تفرج عليها العالم وهي ساكتة صامتة في الخامسة عام 1982م، حيث اجتاح اليهود جنوب لبنان في حرب من طرف واحد، والأخيرة قبل أيام معدودة في جنوب لبنان أيضا عبر فيها العرب على منتهى الإذعان والانصياع للأوامر الأمريكية، التي هي في الحقيقة أوامر اليهود النافذين في الإدارة الأمريكية، هذه الحرب التي أبانت بشكل سافر أن القومية العربية إنما كانت وسيلة لامتصاص شعور المسلمين بالانتماء إلى دينهم، والقضاء على محاولات بناء نظام الخلافة الإسلامية من جديد.

الجامعة العربية وإعلان الأهداف المخدرة للشعوب

كان من أهداف الجامعة العربية المعلنة:

أ- تحقيق فكرة الدفاع العربي المشترك، وهذا يعني في أبسط معانيه: وجود جيش عربي قوي موحد، أو على الأقل: جيوش عربية قوية بينها تنسيق لرد أطماع الأعداء، فهل هذا حاصل الآن بعد خمسين عاماً؟!

لقد تم في عام 1950م توقيع معاهدة: الدفاع العربي المشترك، ولكن هذه المعاهدة تم إيقاف العمل بها منذ ست عشرة سنة، كما تم إلغاء مشروع الإنتاج الحربي بدعم من الدول العربية مجتمعة، ولكن بعض لجان مجلس الدفاع المشترك لم تُلغَ، وإنما أُبقيت كرمز، وسمح لها باستئناف نشاطات من قبيل: رعاية الدورات الرياضية، وإصدار المعاجم العسكرية التاريخية والجغرافية! ونحو ذلك .

ب- تحقيق الوحدة الاقتصادية العربية، وإقامة سوق عربية مشتركة.

هل تحقق للعرب وحدة اقتصادية تحت مظلة الجامعة العربية؟

لقد أعلن في عام 1962م، عن مشروع (الوحدة العربية الاقتصادية) ونص المشروع على أن لرعايا الدول الموقعة حرية انتقال الأشخاص، ورؤوس الأموال، وتبادل البضائع، والإقامة والعمل، و"الترانزيت"..إلخ، وبعد عشر سنوات كاملة من إعلان الاتفاقية، أُلغيت بعد تقويمها ومراجعتها ثم الحكم بفشلها، وأُرجع سبب الفشل في حينه إلى أن: الأهداف كانت طموحة جداً!..

أما السوق العربية المشتركة، فنسمع عنها فقط في إذاعة بلاد (الواق واق) والصحف التي تتحدث عن الغول والعنقاء والخل الوفي!

ج- إحكام المقاطعة العربية ضد الكيان الصهيوني:

وهو هدف، استمرت الجامعة في المحافظة على إعلانه، وظلت المقاطعة قائمة في العلن، حتى قوطعت من بعض أعضاء الجامعة العربية، وبدون إذنها، وصدرت القرارات برفع المقاطعة كلياً أو جزئياً، وبرز مصطلح التطبيع بدلاً منها، ولا نكاد نسمع الآن بعد أكثر من خمسين عاماً أن هناك من يتعاطف مع قطع العلاقات السياسية فضلاً عن الاقتصادية، بل صار الرائج والسائد المسارعة بدل المقاطعة! فالكل يتلهف على فتح الأسواق أمام بضائع اليهود.

الجامعة العربية والإصرار على الفشل

وإذا كان هذا هو شأن الجامعة مع أهدافها الكبرى، فماذا يا ترى سيكون حالها مع الأهداف الأدنى منها؟

إن نظرة واحدة على المشروعات والاتفاقيات والطروحات التي أعلنت عنها الجامعة دون أن تحقق منها شيئاً، لتصيب الإنسان بالدهشة، وتدفعه للتساؤل: لماذا هذا الإصرار على الفشل؟! ولماذا يقترن الفشل دائماً بـ (العروبة) في مشروعات (بيت العروبة) كما يحلو لهم أن يسموه؟!

اتفاقيات فاشلة، مشروعات فاشلة، أطروحات فاشلة..

ففي عام 1958م أعلن عن مشروع لإنشاء مصرف للتنمية العربية.

وفي عام 1960م أعلن عن تشكيل المجلس الاقتصادي العربي.

وفي عام 1962م أُعلن عن توقيع اتفاقية للوحدة العربية.

وهذه الاتفاقيات كانت حبراً على ورق، حيث لم يُر لها أي أثر في الواقع، وهناك اتفاقيات أخرى أو مشاريع لم تر النور أصلاً، ولم تخرج من أدراجها، من ذلك: إنشاء مجلس عربي للبحوث الذرية في الأغراض السلمية، والاتفاقية العربية للتبادل التجاري وتنظيم التجارة لعام 1953م، واتفاقية تسديد مدخرات المعاملات التجارية وانتقال رؤوس الأموال لعام 1956م، واتفاقية توحيد التعرفة الجمركية 1956م.

هكذا أُعلنت نتيجة المصارعة لجولة استمرت خمسين سنة في حلبة (الصراع العربي الإسرائيلي)، حيث رفع المصارع اليهودي ذراع نفسه، فوق جثة المصارع العلماني العربي.

إن شيئاً واحداً نجحت فيه العلمانية العربية (القومية العربية) بعد خمسين عاماً من العمل المؤسسي، وهو: الانتصار لكل المصالح، عدا مصلحة الأمة، وما أصدق كلمة أحمد الشقيري في كتابه (الجامعة العربية) عندما وصف الجامعة بأنها: "منظمة إقليمية، أنشئت لخدمة السياسة الغربية"، وصدق فهي لم تنشأ أصلا إلا لخدمة المصالح الغربية واليهودية.

تيارات التجزئة والتفتيت بين القومية والإقليمية والعلمانية

حينما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة: "اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم وصححها وبارك لنا في مدّها وصاعها.."(رواه الشيخان)، وحينما رفع بلال صوته بالمدينة بعد أن نزعه الشوق إلى مكة:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة
بواد وحولي أذخر وجليل
وهل أردنْ يوماً مياه مجنّة
وهل يبدونْ لي شامة وطفيل؟

لم يكن ذلك إلا تعبيراً عن شعور فطري يعتري الإنسان تجاه منبته وموطنه والدار التي درج فيها، وترعرع في رُباها، وهو شعور يجده كل إنسان في شتى بقاع العالم، ليس فيه ما يُعاب أو يُذَمّ بل هو من تمام المروءة وكمال الخلق، إلا أن هناك شروطاً لا بدّ من وجودها حتى لا يخرج هذا الشعور الفطري من المدح إلى القدح، وهو أن يكون في حجم طبيعي بسيط، أما إذا تضخم هذا الشعور ونفخ فيه حتى يصل إلى حدود الولاء فإنه يتحول عندئذ إلى خصلة ممقوتة وصفة مذمومة من وجهة النظر الشرعية.

والحقيقة أن هذا الشعور المتضخم تجاه الوطن أو الإقليم وُجِدَ في بلاد الإسلام في العصر الحديث بل إنه صنع وصدر إليها بغرض خبيث، بعد أن كان شعور المسلمين في مختلف أنحاء العالم تجاه بلادهم المختلفة شعور فطري طبيعي مما يُحْمَدُ ويمدح.

مصدر الداء

إن الغرب بالذات صنع كثيراً من المبادئ والعقائد في أرضه ثم صدَّرها عامداً إلى أبناء العالم الإسلامي -والحق أنه لم يكن ليصدرها لو لم تكن عند المسلمين قابلية للاستيراد-.

يقول المستشرق اليهودي "برنارد لويس" معترفاً بالجريمة الغربية: "كل باحث في التاريخ الإسلامي يعرف قصّة الإسلام الرائعة في محاربته لعبادة الأوثان منذ دعوة النبي، وكيف انتصر النبي وصحبه وأقاموا عبادة الإله الواحد التي حلت محل الديانات الوثنية لعرب الجاهلية، وفي أيامنا هذه تقوم معركة مماثلة أخرى ولكنها ليست ضد (اللات) و(العزى) وبقية آلهة الجاهلية، بل ضد مجموعة جديدة من الأصنام اسمها: الدولة والعنصر والقومية، وفي هذه المرة يظهر أن النصر حتى الآن هو حليف.. الأصنام! فإدخال هرطقة القومية والعلمانية أو عبادة الذات الجماعية كان أرسخ المظالم التي أوقعها الغرب على الشرق الأوسط ولكنها مع كل ذلك كانت أقل المظالم ذكراً وإعلاناً" (برنارد لويس، الغرب والشرق الأوسط، تعريب: د نبيل صبحي، ص:93).

وليس من العجيب أن يحرص الغرب على تفتيت وحدة المسلمين، فقد كانت العقبة الكأداء في وجهه إبان استعَار الاستعمار، حيث كانت الجامعة الإسلامية كفيلة بأن تثير حمية الهندي والفارسي والأفغاني والتركي والعربي وكل مسلم وسيلبّون النداء حين يدعو داعيه.

ومع مرور التاريخ استلم قيادة هذه الأمة الإسلامية خلفاء بني عثمان، وساروا بها في جزء كبير من تاريخهم من نصر إلى نصر، وكانت دولتهم في أول أمرها فتية ثم اشتد عودها ثم شاخت في نهاية أمرها وردم الأعداء التراب على قبرها رافعين شعار القومية التركية بدل الشريعة الإسلامية، ليتردد بعد ذلك في الأرجاء النواح والعويل والجزع والذهول يشارك الجميع أحمد شوقي في مرثيته للخلافة:

عادت أغاني العرس رَجْعَ نواح
ونعيت بين معالم الأفــــــراح
كُفِّنْت في ليل الزفافِ بثوبــــــه
ودُفِنْت عند تَبَلُّج الإصبـــــــاح
شُيِّعت من هَلَع بعَبْرةِ ضـــــاحك
في كل ناحيةٍ وسكرةِ صـــــاح
ضَجَّتْ عليك مآذنٌ ومنــــــابرٌ
وبَكَتْ عليك ممالكٌ ونـــــوَاح
الهند والهةٌ ومصرُ حـــــــزينةٌ
تبكي عليك بمدمع سَحَّـــــاح
والشامُ تسألُ والعراقُ وفـارسُ
: أمَحَا مِنَ الأرض الخلافةَ ماح؟

عمد الحاقدون على الخلافة الإسلامية إلى نشر المفاهيم والأفكار الغربية في بلاد الإسلام وكانت فكرة تشجيع القوميات أهمها.

هذه الفكرة وُجِدَتْ في بلاد المسلمين أول ما وجدت في دار الخلافة الإسلامية تركيا فقد تسربت إليها من أواسط وشرق أوربا عبر قنوات عديدة منها أن اللاجئين البولنديين والمجريين نقلوا معهم هذا المبدأ بعدما لجأوا إلى تركيا بعد فشل ثورتهم سنة 1848م.

قال "برنارد لويس": "ولقد عمل "الكونت بورزيسكس" - الذي سمى نفسه بعد ذلك مصطفى جلال الدين باشا وقد نشر كتاباً بعنوان "أتراك الأمس وأتراك اليوم"- على نقل القومية البولندية ووضعها في قالب تركي، وساعده على هذا العمل ما عرضه من أعمال المستشرقين الأوربيين الباحثين في الشؤون التركية، ولقد وصلت نتائج أبحاث هؤلاء إلى المجتمع التركي عبر عدة طرق، وكان لها تأثير هام على الذهنية التركية خصوصاً في تقدير التركي القديم، والاعتقاد بالهوية الميزة والمركز اللائق في التاريخ، ولقد كان الأتراك أكثر من العرب والعجم نسياناً لتاريخهم الماضي فقد كانوا لا يفكرون بأية هوية أخرى غير الهوية الإسلامية، ولكن المستشرقين.. ساعدوا الأتراك على استعادة هويتهم القوية الضائعة وعلى الدعوة إلى حركة قومية جديدة" (المرجع السابق).

وبمثل هذه الأساليب تعزَّز عند جزء من الأتراك هذا الشعور القومي، وأدى بعد ذلك كواحد من عوامل كثيرة إلى نشوء القومية العربية.

دخول العلمانية دائرة الصراع

لقد كان لغير المسلمين جهد واضح وأثر فعال في ترسيخ الانتماء القومي الذي يستند على العلمنة كإطار مبدئي، ولنستمع إلى ما يقوله إبراهيم اليازجي وهو يستنهض همم العرب ويدعوهم إلى إحياء أمجاد آبائهم ويحثهم على الثورة على الترك:

ودع التنعم بالمطـــا يا والمشارب والملابس
أي النعيم لمن يبيــت على فراش الذل جالس

العدد 14 - 07 شعبان 1427 الموافق لـ 01 سبتمبر 2006

العدد 14 - 07 شعبان 1427 الموافق لـ 01 شتنبر 2006

ولمن تراه بائســــــــاً أبداً لذيل الترك بائـس
ولمن أزمته بكـــــــــف عداه يُظلم وهو آيس

وله قصيدة بائية أخرى لها نفس الغرض ختمها بقوله:

صبراً هيا أمة الترك التي ظلمت
دهراً فعما قليل تُرفع الحـــــجبُ
لنطلبنّ بحد السيف مــــــــأربنا
فلن يخيب لنا في جنبـــــه أربُ

فبسبر أحوال القوميين، وتدبر مقالاتهم وأخلاقهم وأعمالهم، عرف أن غرض الكثيرين منهم من الدعوة إلى القومية، أمور أخرى يعرفها من له أدنى بصيرة بالواقع وأحوال المجتمع، ومن تلك الأمور، فصل الدين عن الحياة، وإقصاء أحكام الإسلام عن المجتمع، والاعتياض عنها بقوانين وضعية ملفقة من قوانين شتى، وإطلاق الحرية للنزعات الجنسية والمذاهب الهدامة ولا ريب أن دعوة تفضي إلى هذه الغايات، يرقص لها الاستعمار طرباً، ويساعد على وجودها ورفع مستواها - وإن تظاهر بخلاف ذلك- تغريراً للعرب عن دينهم، وتشجيعاً لهم على الاشتغال بقوميتهم، والدعوة إليها والإعراض عن دينهم.

ومن زعم من دعاة القومية أن الدين من عناصرها، فقد فرض أخطاء على القوميين، وقال عليهم ما لم يقولوا لأن الدين يخالف أسسهم التي بنوا القومية عليها، ويخالف صريح كلامهم ويباين ما يقصدونه من تكتيل العرب، على اختلاف أديانهم تحت راية القومية.

ولهذا تجد من يجعل الدين من عناصر القومية يتناقض في كلامه، فيثبته تارة وينفيه أخرى، وما ذلك إلا أنه لم يقله عن عقيدة وإيمان، وإنما قاله مجاملة لأهل الإسلام، أو عن جهل بحقيقة القومية وهدفها، وهكذا قول من قال: إنها تخدم الإسلام أو تسانده، وكل ذلك بعيد عن الحقيقة والواقع، وإنما الحقيقة أنها تنافس الإسلام وتحاربه في عقر داره، وتطلي ببعض خصائصه ترويجاً لها وتلبيساً أو جهلاً وتقليداً.

وكما هو معروف فقد لعبت القومية العربية بعد ذلك بسنين دوراً أساسياً في ترسيخ مبدأ الفرقة والشتات شَهِدَهُ الجميع، والحقيقة أن هناك ما هو أخطر من القومية على وحدة المسلمين ويتمثل في تيار الإقليمية الوطنية بمعنى حب الوطن والولاء له، وهو مفهوم حديث لم يعرفه المسلمون من قبل، وقد ورد إلى العالم الإسلامي قبل المفهوم القومي، وكان أول من دعا إلى الوطنية بهذا المفهوم رفاعة الطهطاوي، وقد تطورت مثل هذه الفكرة بعد ذلك حتى أصبحت دعوة شعبية.

وعلى كل حال لم تكن هذه الجهود لتؤتي أُكلها في تجزئة بلاد المسلمين لولا القوة الاستعمارية التي فرضت هذه التجزئة، فكما يقطع الجزار ذبيحته قطعة قطعة فعل الاستعمار بالدولة العثمانية فعل الجزار، فالبلاد الواقعة تحت سيطرة العثمانيين قُسِّمت إلى عشرات الأجزاء ولم يكن ذلك لتعدد المستعمرين، بل كانت العملية واعية ومقصودة هدفها التمزيق إلى أقصى درجة حتى يضمن عدم وحدتها في المستقبل، فالذي حدث "أن المناطق التي وقعت تحت سيطرة الاستعمار الواحد جزئت تجزيئاً، فلبنان انفصل عن سوريا، وكلاهما تحت الانتداب الفرنسي، والأردن فصل عن فلسطين، وفصل العراق على حدة، وكذلك دول الخليج ومصر والسودان وكلها كانت تحت نفوذ الاستعمار البريطاني، الأمر نفسه بالنسبة للمغرب العربي الكبير الذي تجزأ وكان أغلبه تحت السيطرة الفرنسية" (منير شفيق، الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر، بتصرف يسير).

العالم العربي وثمار القومية النكدة

إن أمتنا العربية نكبت مع الأسف منذ نحَّيَتْ شريعة الله واستعاضت عنها بالتوجهات القومية، يوم حكمت الدساتير العلمانية وسارت على نهجها فلم تكن ثمارها سوى الهزائم والسقوط، ولن يكون حال التوجهات القطرية الحالية بأحسن حالاً.

إننا لا ندعو إلى تجريب الإسلام، بل إلى فهمه فهماً صحيحاً من مصادره الصحيحة والعودة له شريعةً حاكمة وعقيدة صافية، ثم الاعتماد على النفس وأخذ السبل الموصلة للقوة القائمة على حشد كل الإمكانيات البشرية، وتقوية الاتجاهات العسكرية، والعناية بالبحث العلمي بإنشاء مراكز البحوث، والاستفادة من القدرات الهائلة من العلماء المسلمين الموزعين في شتى أنحاء العالم.

منذ ان اشرقت شمس الإسلام على بطاح مكة المكرمة مؤذنة بظهور هذا الدين الجديد، وصاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم يعلنها مدوية في سمع الزمان مبيناً عالمية رسالة الإسلام حيث يقول: "أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من قبلي، وعَدّ منها: "وكان النبي يبعث إلى قومه، وبعثت إلى الناس كافة"، وأكد ذلك القرآن الكريم بقوله تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً"، وقوله: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ"، ودخل الناس في دين الله أفواجاً وقامت دولة الإسلام بالمدينة وصدقت نبوءة الرسول صلى الله عليه وسلم باتساع دولة الإسلام حينما جاءه بعض الصحابة يشكون له أذى قريش فبين لهم أن الله سيتم هذا الأمر، "حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله"، وفي رواية : "والذئب على غنمه" رواه البخاري.

فلم يكن للمسلم منذ صدر الإسلام وعصوره المتتالية جنسية سوى عقيدة التوحيد، لا يعرف جواز سفر، ولا بطاقة تعريف، سوى أنه مسلم يدين بالإسلام حتى انتهى العالم الإسلامي في عصوره المتأخرة إلى الوقوع في أتون النعرات القومية، التي كانت بضاعة مستوردة، أدت إلى نشوء النزعات الجاهلية التي جاء الإسلام لوأدها وهدمها، لكنها عادت يوم ضعف الدين في النفوس، ولم يعد له السلطان على الناس، منذ أن دعا القوميون العرب لنعرتهم القومية خلال العشرينات، التي كانت ردة فعل للقومية الطورانية التركية، مما أدى إلى سقوط جل الدول العربية تحت سيطرة الاستعمار الأجنبي.. وحينما قام المجاهدون يدافعون عن حمى الإسلام ضد التسلط الأجنبي سُرقت ثمرات الجهاد فتحول في أواخره من جهاد في سبيل الله إلى حركات وطنية استقلالية بمنطلقات علمانية وقومية جاهلية، أطالت من عمر الاحتلال يوم اصطنع المحتلون نفراً من أولئك القوم مكنوا لهم، فكانوا في عدائهم للإسلام ودعاته أعظم من الأجنبي يوم كان محتلا لديار الإسلام.

ومن العجيب أن يكون أكثر دعاة القومية العربية من النصارى ومن العجم ويا ليتهم اعتزوا بأخلاق العروبة وآدابها التي هي أقرب ما تكون إلى الإسلام بل إن الإسلام أقر الصالح منها مثل: الكرم، والوفاء، بالعهد، والحفاظ على الجوار وحماية العرض، وكان مِنْ عرب الجاهلية مَن لا يقر الظلم والبغي، لذا قام نفر من أعيانهم بحلف الفضول، ذلك الحلف الذي قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم: "لقد شهدت بدار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو دعي به في الإسلام لأجبت"، لكنهم داسوا تلك الخلال ولم يحترموها فضلاً عن أن يطبقوها بوحي من إيمانهم بشريعة الإسلام، فجاؤوا بدساتير أجنبية مستوردة، لا تقيم لشريعة الإسلام أي احترام، بعد أن نحّاها المستعمر، فلم يبق منها سوى أطلال تتمثل في بعض قوانين الأحوال الشخصية؛ وحينما انتقِدت تلك النزعة العلمانية قال بعضهم خداعاً أو جهلاً :(الإسلام تراث من تراث القومية العربية ومحمد صلى الله عليه وسلم بطل من أبطالها)، لقد كان التوجه القومي في البلاد العربية مظهر انحطاط وانهزامية لأمتنا، إذ كانت ثماره المُرَّة ما يلي:

1 خسران الحروب التي دخلها العرب في تلك الحقبة.

2 تنحية شريعة الإسلام عن الحكم.

3 اضطهاد الحركات الإسلامية ورموزها ما بين قتل وسجن وتشريد.

4 لم تسلم دولة عربية مجاورة لأخرى من حروب ونزاعات على الحدود.

5 تشجيع النزعات العنصرية في جل الدول العربية من الفرعونية والآشورية والبربرية، ونشوء أحزاب علمانية تدعو لتلك التوجهات الشعوبية المشبوهة.

6 الانهيار الاقتصادي لاسيما الأخذ بالتوجهات الاشتراكية وما سواها من الاتجاهات الليبرالية التي لم تذق منها الشعوب العربية سوى الجوع والمسغبة.

7 هرب كثير من العلماء التقنيين خارج العالم العربي لعدم احتوائهم من ناحية، أو مخالفتهم لتوجهات أولئك الحكام من ناحية أخرى.

هذه بعض من نتائج ومعطيات الحقبة القومية، التي بليت بها أمتنا ومازالت.

لقد كانت القطرية موجودة في كثير من الدول العربية قبل حرب الخليج وبعدها بكل ما أنتجته من تغيرات استراتيجية وميدانية، أخذت وبشكل واضح اتجاهات انكفائية تتلبّس لبوس الوطنية وتنظر من خلالها إلى ذاتها وأمنها نظرة خاصة، وتجعل من مصلحة النظام الحاكم المحور المعوّل عليه في بناء سياستها وتوجهاتها، لا تنظر معها إلا لمصالحها فقط، حتى ولو كانت مع العدو نفسه.

إن تلك النزعة الانكفائية، مظهر تخلف ولا شك لأنها لا تتنافى والطموحات القومية المزعومة فحسب، بل إنها قبل ذلك تتصادم مع حقائق الإسلام وأخلاقياته، زيادة على ما تشكله من طعن مباشر في عقيدة الولاء والبراء.

إن حب الأوطان فطرة تعيش في حنايا النفوس وتعمر بها شغاف القلوب فأوطاننا هي الأرض التي بها ولدنا وعلى أرضها درجنا ونعمنا بخيراتها وتعلمنا في مدراسها وتظللنا بوارف ظلالها.

إن تلك العاطفة فطرية في النفوس، لكن يجب أن تكون في إطارها لا أن تصل إلى حد التقديس لتراب الوطن الضيق بعيداً عن الإحساس بواجب الإخاء الإسلامي العام، وبعيداً عن الشعور بواجب النصرة لإخواننا المسلمين، وبعيداً عن تحقيق متطلبات عقيدة الولاء والبراء.

إن أمتنا العربية نكبت مع الأسف منذ نُحِّيَتْ شريعة الله واستعاضت عنها بالتوجهات القومية، يوم حكمت الدساتير العلمانية وسارت على نهجها فلم تكن ثمارها سوى الهزائم والسقوط، ولن يكون حال التوجهات القطرية الحالية بأحسن حالاً، فحسبها أن تثير الحزازات بين الشعوب العربية حينما يكون كل شعب مشغولاً بنفسه عن إخوانه في العقيدة والدين، فإلى متى تبقى أمتنا تذوق مرارة الحرمان والانهزامية مع كل توجه علماني؟

لقد جربت الأمة شتى التوجهات الجاهلية من اشتراكية وقومية وليبرالية ولم تكن نتائج ذلك سوى حصاد الهشيم وقبض الريح.

إننا لا ندعو إلى تجريب الإسلام، بل إلى فهمه فهماً صحيحاً من مصادره الصحيحة والعودة له شريعةً حاكمة وعقيدة صافية، ثم الاعتماد على النفس وأخذ السبل الموصلة للقوة القائمة على حشد كل الإمكانيات البشرية، وتقوية الاتجاهات العسكرية، والعناية بالبحث العلمي بإنشاء مراكز البحوث، والاستفادة من القدرات الهائلة من العلماء المسلمين الموزعين في شتى أنحاء العالم، وضرورة التكامل الاقتصادي، وزيادة التعاون بين الأقطار الإسلامية، وإعادة النظر في السياسة التعليمية القائمة ليس لصالح سياسة التطبيع وإنما لتخريج الأجيال القادرة على المواجهة ثقافياً وعسكرياً، والمطالبة بأن يكون لنا مكان أكبر في المنظومة الدولية.. ولن يتأتى ذلك بدون الانتماء لعقيدتنا الإسلامية الصحيحة قولاً وفعلاً والصلح مع إخواننا قبل الصلح مع أعدائنا.

إن العودة إلى الإسلام الحق ستحمينا من أخطار الاتجاهات المنحرفة وسلبياتها سواء أكان ذلك قومياً أو قطرياً.

العدد 14 - 07 شعبان 1427 الموافق لـ 01 سبتمبر 2006

سقوط القومية العربية وبداية مرحلة اليقظة

..كانوا يستغلون فكرة القومية والوطنية لإشعال الحرب الضروس على الدين وعلى كل من يدعو إلى الانتماء إلى الإسلام أو يوالي أو يعادي في هذا الدين حتى مسخت الأمة تقريباً مسخاً كاملاً أو شبه كامل.

..ونتيجة لهذا الشعور - رسوخ الفكرة القومية عند الناس - أصبح لا يمكن أن تنظر إلى أي أحد وتقول هذا مسلم أو نصراني ولا يمكن أن تسأل عن هذا، وما كان أحد يستطيع أن يتحدث بهذا إلا ويحتقر ولا يستطيع أن يكتب في مجلة أو يتكلم في الإذاعة وهو يخالف فكرة القومية العربية أو الأخوة العربية والرابطة العربية واللغة المشتركة والتاريخ المشترك.

بعد الحرب العالمية الثانية نسيت القوميات تماما في أوروبا فأصبحت التكتلات عقائدية وعسكرية، وأصبحت أروبا في الحقيقة معسكرين: حلف وارسو وحلف الناتو (شمال الأطلسي)، حلف شمال الأطلسي يضم الولايات المتحدة الأمريكية ومعه دول غرب أوروبا كلها على اختلاف مللها ومذاهبها الدينية وقومياتها، وأوروبا الشرقية الشيوعية على اختلاف أجناسها وأعراقها أصبحت كتلة واحدة بعد الحرب العالمية الثانية التي انتهت عام 1945م، بعدها وقع ميثاق جامعة الدول العربية ثم ظهرت الأحزاب وأسست حزب البعث، فلما ظهر المعسكر الشرقي الاشتراكي اندمجت الفكرة الاشتراكية في الحركات القومية والوطنية لأنها كلها مستوردة من الغرب، فقامت الثورة المصرية وحَوَّلها جمال عبدالناصر من فكرة وطنية إلى فكرة قومية.

إن الغرب أراد هذا بوضوح، أراد أن لا يكون هناك أي رابطة أو جامعة إسلامية وإنما يكون المبدأ القومي هو الذي يجمع هذه الشعوب جميعاً.

وتحت شعار الحركة القومية والحركة البعثية نشأت في دول أخرى - مثل دول الجزيرة العربية - الفكرة الوطنية التي لم تكن معروفة من قبل، ففي هذه البلاد في عمان في اليمن مثلاً، ما كان الناس يعرفون على الإطلاق فكرة التفاخر بالحضارات القديمة وبالوطنية ولا يعلمون عنها أي شيء فضلاً عن القومية، فنجد أن القوميين تبنوا إحياء هذه الحضارات والآثار القديمة، بل مع أنهم يدعون القومية العربية ويتعصبون للغة العربية أحيوا ما يسمونه التراث الشعبي والأشعار النبطية وما أشبه ذلك، وهذه كلها عوامل تفتيت للأمة إلى قوميات، القومية تفتت إلى وطنيات، الوطنية تفتت إلى قبليات وحزبيات وحضارات مختلفة، وكل هذا بغرض تفريق وتمزيق الأمة الإسلامية وحل رابطة الولاء والبراء لديها، فأصبح الإنسان لا يوالي ولا يعادي إلا في ما يعتقد من قومية أو وطنية.

وروِّج لشعار القومية إلى حد لو أن أحداً يقول هذا العربي ليس مسلماً لاستنكر أشد الاستنكار في أي مكان، ورسخت فكرة القومية العربية حتى قال شاعرهم:

سلامٌ على كفرٍ يوحــــــــد بيننا
وأهلاً وسهلاً بعده بجهنـــــــــــم

هبوني ديناً يجعل العرب أمــــــةً
وطوفوا بجثماني على دين برهـم

بلادك قدمها على كل ملـــــــــة
ومن أجلها أفطر ومن أجلها صُم

والثاني يقول:

داع من العهد الجديد دعاك
فاستأنفي في الخافقين علاكِ

يا أمة العرب التي هي أمنا
أي افتخار نميته ونمـــــاكِ

ميخائيل نعيمة، جبران خليل جبران، إيليا أبو ماضي، وإيليا حاوي، إلياس أبو شبكة.. الخ، هؤلاء كلهم هم الشعراء الذين يتغنى الناس بأفكارهم، بل حتى أحمد شوقي الذي يقول:

بلاد العرب أوطاني من الشام لبغداد
فلا دين يفرقنا ولا حقـــــد يباعدنا

وأصبحت المفاخرة بأن أبناء الوطن جميعاً يعملون ضد الاستعمار وضد القوى الرجعية، والرجعية هي الدين في نظرهم، فكانوا يستغلون فكرة القومية والوطنية لإشعال الحرب الضروس على الدين وعلى كل من يدعو إلى الانتماء إلى الإسلام أو يوالي أو يعادي في هذا الدين حتى مسخت الأمة تقريباً مسخاً كاملاً أو شبه كامل، وأصبحت نظرة كل الناس إلى الأمة العربية والوطن العربي: فإن درست الجغرافيا فهي جغرافية الوطن العربي، وإن درست الثروة فثروة الوطن العربي، وإن درست السكان فهم سكان الوطن العربي، وإن تحدث أحد عن الأخطار فإنه يتحدث عن الأخطار على الأمة العربية. وفي الحقيقة أنه مجاملة لهؤلاء الحفنة من النصارى في لبنان ومصر تخلى الباقون عن دينهم، والتعبير الذي كان ولا يزال إلى هذه الأيام مستخدم أن يقال (الأمتين) الأمة العربية والأمة الإسلامية! ومن أجل هؤلاء تجعل الأمة الواحدة التي قال الله تعالى عنها "إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً" تجعل أمتين!

ونتيجة لهذا الشعور - رسوخ الفكرة القومية عند الناس - أصبح لا يمكن أن تنظر إلى أي أحد وتقول هذا مسلم أو نصراني ولا يمكن أن تسأل عن هذا، وما كان أحد يستطيع أن يتحدث بهذا إلا ويحتقر ولا يستطيع أن يكتب في مجلة أو يتكلم في الإذاعة وهو يخالف فكرة القومية العربية أو الأخوة العربية والرابطة العربية واللغة المشتركة والتاريخ المشترك، وهذا خلاف ما ذكر الله تبارك وتعالى "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ" ولما قاله صلى الله عليه وسلم: "لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي إلا بالتقوى"، وكان العراقي مثلا وإن كان يدعي القومية العربية إلا أنه يفتخر بالآشورية والبابلية والكلدانية، وأهل الشام وإن كانوا أيضاً يدعون القومية العربية والبعثية إلا أنهم يفتخرون بآثار السومريين والفينيقيين، وفي مصر يفتخرون بالآثار الفرعونية وغيرها.

تفتتت القومية العربية بحربين، الأولى حرب لبنان، لو تأملنا تاريخ لبنان التي كانت منطلقاً لتمزيق الأمة الإسلامية والدولة العثمانية - والرابطة التي جمعتهم هي رابطة القومية - فأراد الله عز وجل أن تتمزق لبنان نفسها وتصبح فئات متناحرة: فالموارنة طائفة، والأرمن طائفة، والموارنة انقسموا إلى أحزاب: حزب شمعون وحزب مع فرنجية وحزب مع الجميّل وهكذا.. والدروز لهم حزب ولهم إذاعة وجيش، والرافضة حزبين: حزب الله الشيعي الرافضي، و "أمل" نبيه بري، وهم كلهم رافضة.. فتمزقت البقعة الصغيرة هذه التي من أجلها مزقنا الأمة الإسلامية وجعلناها أمتين، أمة عربية وأمة إسلامية، حتى أنه إذا عقد مؤتمر الأمة العربي يحضر رئيس لبنان، فإذا عقد مؤتمر إسلامي يحضر رئيس لبنان وهو نصراني! فمن أجلهم ضيَّعنا ولاءنا وانتماءنا لديننا وعقيدتنا.

فبدأت القومية العربية في الانتكاس بهذا الحال ومزق الله حزب البعث في سوريا والعراق، عداوة مستحكمة بحيث أنك تتعجب كيف أن كل واحد منهم لو مكن لكان أول ما يبدأ يفترس ويبطش بأخيه البعثي الآخر، وتجد سجون العراق ملأى بالبعثيين السوريين الموالين "لصلاح بكداش"، وسجون سوريا ممتلئة بالبعثيين المنتمين إلى "ميشيل عفلق" و"حسن البكر" وأمثاله.

وفي مصر عندما جاء أنور السادات تخلى تماماً عن القومية العربية ورجعت مصر وسمت نفسها جمهورية مصر العربية.

أما بالنسبة للقذافي الذي هو تلميذ جمال عبد الناصر كان يريد أن يعمل دولة موحدة ولم يوفقه الله لأنها لا تقوم على أساس الإسلام فتمزقت أيضاً رابطة القومية العربية بين مصر وليبيا.

وجاءت الحرب الثانية هي حرب الخليج، فأصبح العرب حتى في داخل البيت الواحد وداخل الحزب الواحد وداخل الدولة الواحدة بعضهم يقف مع العراق وبعضهم يقف ضد العراق وتشاحن الطرفان، البعثيون السوريون الذين يربطهم بالعراق رابطة القومية والبعثية هم أيضاً دخلوا ضمن الجيوش التي دخلت إلى العراق وقتلت من العراقيين ما قتلت! فبعدما كانوا يتقاتلوا في لبنان هذا يؤيد "عون" وهذا يؤيد "شمعون" أصبحوا يتقاتلون بأنفسهم وجهاً لوجه مما جعل القومية العربية تدخل حالة الاحتضار.

والحمد لله أن المسلمين أفاقوا إلى حد كبير فنجد ما حدث في أفغانستان أو في الفلبين أو في البوسنة والهرسك وغيرها جعل المسلمين يشعرون بضرورة الولاء الإسلامي وأن تكون العقيدة هي الرابطة، فالكل اشتركوا وجاهدوا ولو بالمال ولو بالدعاء لإخوانهم المسلمين، هذه المصائب وهذه المحن جعلت المسلمين يشعرون بأننا أمة واحدة في آمالها وآلامها، لأنها واحدة في عقيدتها وفي قبلتها وفي كتابها وفي سنة نبيها صلى الله عليه وسلم، وفي كل الأواصر والروابط.

ولا توجد أمة أو حزب أو أي رابطة أعمق في التاريخ من هذه الأمة، لأنها فوق كل القوميات والعنصريات والعصبيات، ولا فخر بالحجارة والطين كما يفتخرون، هذا عنده أهرامات وهذا عنده حدائق بابل وأولئك بنوا مدائن صالح وهؤلاء بنوا إرم مثلاً، نحن نفخر ونتمي ونعتز بالانتماء إلى ركب الإيمان، ركب الأنبياء، ركب النبي الذي بنى هذا البيت "إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ، فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً"، هذا هو البناء الذي يجمعنا والذي نفتخر به والذي نعتز بأننا والحمد لله نعبد الله سبحانه وتعالى ونفتخر بالعبودية لله باستقبالنا هذا البيت الذي بناه أنبياء الله وحجه أنبياء الله، فهذه هي حضارتنا وآثارنا وانتماؤنا الذي نفتخر به وما عدى ذلك فكلها جاهليات وعصبيات ممقوتة مذمومة، إنما جاء الإسلام للقضاء عليها ولحربها ويكفيها أنها جاهلية كما سماها الله تعالى وسماها رسوله صلى الله عليه وسلم.

رشيد مومن الإدريسي

القول عند الإفطار

من الذكر الذي سنه لنا النبي صلى الله عليه وسلم ما ورد في الحديث عن مروان بن المقفع قال: رأيت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقبض على لحيته، فيقطع ما زاد على الكف قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أفطرقال: "ذهب الظمأ، وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله عز وجل".

أخرجه أبو داود في سنته في كتاب الصوم باب: القول عند الإفطار 302/2، والحاكم في مستدركه وقال صحيح على شرط الشيخين 584/1، والدارقطني في سنته 185/2 وحسن إسناده، وحسنه الألباني كما في صحيح سنن أبي داود 449/2 رحمه الله على الجميع.

قول عبد الله بن عمر رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا أفطر): أي عند الإفطار. انظر تحفة الأحوذي 261/3، ونيل الأوطار 301/4، وقيل: بعد الإفطار، انظر عون المعبود 345/6، والأول أولى والله أعلم.

(ذهب الظمأ): قال النووي رحمه الله: "الظمأ مهموز الآخر مقصور: وهو العطش، قال تعالى :(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ)" الأذكار 421.

(وابتلت العروق): أي تزول اليبوسة الحاصلة بالعطش. عون المعبود 345/6.

(وثبت الأجر): أي زال التعب وحصل الثواب وهذا حث على العبادات، عون المعبود 345/6.

بعد قوله (ذهب الظمأ): استبشار منه لأنه من فاز ببغيته ونال مطلوبه بعد التعب والنصب وأراد اللذة بما أدركه ذكر له تلك المشقة"فيض القدير 107/5.

(إن شاء الله متعلق) بالأخير على سبيل التَّرك..أو لئلا يجزم كل أحد، فإن ثبوت أجر الأفراد تحت المشيئة. انظر عون المعبود 346/6.

في تاريخ دمشق 61/40 كان أبو بشر يقول سمعت عدي بن أرطأ يخطب بعد انقضاء شهر رمضان يقول: كأن كبدا لم تظمأ، وكأن عينا لم تسهر، فقد ذهب الظمأ وبقي الأجر، فيا ليت شعري من المقبول منا فنهنِّيه، ومن المردود منا فنعزِّيه، فأما أنت أيها المقبول فهنيئا هنيئا، وأما أنت أيها المردود فيجبر الله مصيبتك، ثم يبكي ويبكي".

قال الناظم:

وسن في الفطر الدعا بما ورد
إذ دعوة الصائم فيه لا ترد

احفظ الله يحفظك

في حديث أبي العباس عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصاه وأوصى الأمة بوصايا عظيمة وجليلة ومنها قوله: "..احفظ الله يحفظك.." رواه الترمذي في سننه وقال حديث حسن صحيح، والحديث في صحيح الجامع.

قوله عليه الصلاة والسلام: "احفظ الله" أمر جوابه "يحفظك".

وحفظ الله جل جلاله بأداء حقوقه، وعدم مجاوزة حدوده، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

فمن حقق ذلك فهو حقيق بوصف الحفيظ الذي قال الله عز وجل عنه: "وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ".

قال علماء التفسير: الحفيظ هو الحافظ لأوامر الله فيؤديه، والحافظ لذنوبه ليتوب منها.

قال عليه الصلاة والسلام: "الاستحياء من الله حق الحياء: أن تحفظ الرأس وما وعى، وأن تحفظ البطن وما حوى" حسن لغيره.

فمن حفظ الله تبارك وتعالى حفظه الله جل وعلا لأن الجزاء من جنس العمل.

وحفظ الله جل وعلا للعبد على نوعين:

أولهما: أن يحفظ الله تبارك وتعالى العبد في بدنه وماله وأهله وولده.

قال تعالى: "لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ".

قال أحد السلف: "من اتق الله حفظ نفسه، ومن ضيع تقواه ضيع نفسه، والله غني عنه".

وقال أحد السلف: "من حفظ الله في صغره، حفظه الله في كبره".

ثانيهما: أن يحفظ الله تبارك وتعالى العبد في أمر دينه -وهو أشرف النوعين كما يقول أهل العلم-.

بأن يحفظ الله العبد إذا حفظه من الشهوات المحرمة والشبهات، ويحفظه حتى يخرج، وأن يحفظ قلبك عليك فيثبته على الإيمان ويجعله معلقا به سبحانه.

وجماع ذلك أن من حَفظ الله تبارك وتعالى كان الله معه ينصره ويؤيده كما قال تعالى: "إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ"، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام في وصايا لابن عباس رضي الله عنه: "...احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك"، وفي رواية: "...احفظ الله تجده أمامك".

قال أحد السلف: من اتق الله كان الله معه، ومن معه الله معه الفئة التي لا تغلب، والحارس الذي لا ينام والهادي الذي لا يضل.

وقال أحد السلف: إذا كان الله معك فمن تخاف، وإذا لم يكن الله معك فمن ترجوا.

خُلوف فم الصائم

مما يدل على فضل عبادة الصوم قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث المتفق عليه: "..لخُلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك..".

قال الشوكاني رحمه الله: "(لخُلوف) بضم الخاء، قال القاضي عياض: قيدنا عن المتقنين بالضم وأكثر المحدثين يفتحون خاءه وهو خطأ. وعده الخطابي في غلطات المحدثين، وهو تغير رائحة الفم" نيل الاوطار 133/1.

وفي معنى قوله: "(أطيب عند الله) أقوال كثيرة كلها من باب الكتابات، وإخراج الكلام عن ظاهره وحقيقته، ومن ذلك قوله:المعنى: أن حكم الخلوف والمسك عند الله على خلاف ما عندكم، وقيل المراد: إن الله يجازيه في الآخرة فتكون نكهته أطيب من ريح المسك، أي أن الصائم ينال من الثواب ما هو أفضل من ريح المسك، وقيل المقصود: أن الخلوف أكثر ثوابا من المسك". انظر نيل الأوطار 285/4.

والصحيح في ذلك، والموافق لطريقة السلف الصالح ما ذكره الإمام ابن القيم رحمه الله في الوابل الصيب 43، حيث قال: "ونسبة استطابة ذلك إليه سبحانه وتعالى، كنسبة سائر صفاته وأفعاله إليه، فإنها استطابة لا تماثل استطابة المخلوقين، كما أن رضاه وغضبه وفرحه وكراهته وحبه وبغضه لا تماثل ما للمخلوقين من ذلك، كما أن ذاته سبحانه وتعالى لا تشبه ذوات خلقه، وصفاته لا تشبه صفاتهم وأفعالهم، وهو سبحانه وتعالى يستطيب الكلم الطيب فيصعد إليه، والعمل الصالح يرفعه وليست هذه الاستطابة كاستطابتنا".

(أطيب عند الله من ريح المسك) هذا فضل الصيام وثواب الصائم، انظر التمهيد 57/19.

وهو بذلك "يحضهم عليه (أي الصوم) ويرغبهم فيه" الاستذكار 375/3.

وقد اختلف هل ذلك في الدنيا أو في الآخرة، فقال بالأول ابن الصلاح وبالتالي ابن عبد السلام، واحتج ابن الصلاح بما أخرجه ابن حبان بلفظ (فم الصائم حين يخلف من الطعام) وكذا أخرجه أحمد، وبما أخرجه أيضا الحسن بن سفيان في مسنده والبيهقي في الشعب من حديث جابر بلفظ (فإن خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك).. واحتج ابن عبد السلام على ما قاله، بما عند مسلم وأحمد والنسائي: "أطيب عند الله يوم القيامة.." نيل الأوطار 285/4.

قال ابن القيم رحمه الله بعد ما حكى هذا الخلاف: "وفصل النزاع في المسألة أن يقال: حيث أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن ذلك الطيب يكون يوم القيامة فلأنه الوقت الذي يظهر فيه ثواب الأعمال وموجباتها من الخير والشر، فيظهر للخلق طيب ذلك الخلوف على المسك.. وحيث أخبر بأن ذلك حين يخلف وحين يمسون فلأنه وقت ظهور أثر العبادة..." الوابل الصيب 43.

قال الناظم:

خلوف في الصائم دون شــــــك
تَفضُل عند الله ريح المســــــــك

فـائـــدة

ذهب بعض الفقهاء إلى كراهة الاستياك للصائم بعد الزوال، وعللوا ذلك لئلا تزول رائحة الخلوف المستحبة. انظر "نيل الأوطار"125/1.

والصحيح استحباب الإستياك في أول نهار الصوم وآخره لظاهر السنة، واستدلال من ذهب إلى الكراهة بعد الزوال "لا ينهض لتخصيص الأحاديث القاضية باستحباب السواء على العموم" نيل الأوطار 133/1.

وقد أجيب عما ذكروه من تعليل "بأن السواء لا يذهب به الخلوف لأنه صار من خلو المعدة" انظر سبل السلام 15/1.

ومن دقيق استنباط الإمام النَّسائي رحمه الله فيما يخص هذا الباب قوله مترجما على حديث: "لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة" :"الرخصة في السواك بالعشي للصائم" 12/1.

ومعنى كلامه أن الصائم يستاك في آخر النهار لأن صلاة العصر تكون فيه، خلافا لمن قال بمنعه آخر النهار، لأنه يذهب الخلوف، وقد أثنى السندي رحمه الله على هذا الاستنباط فقال في حاشيته على سنن النسائي: "ولا يخفى أن هذا من المصنف استنباط دقيق وتيقظ عجيب، فلله درُّه، ما أدق وأحد فقهه".

قال الإمام مالك رحمه الله: "لا أرى بأسا بأن يستاك الصائم في أي ساعة شاء من ساعات النهار" المدونة 271/1.

العدد 14 - 07 شعبان 1427 الموافق لـ 01 شتنبر 2006

العدد 14 - 07 شعبان 1427 الموافق لـ 01 شتنبر 2006

آية في كتاب الله

قال تعالى: "وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" الأعراف:176

قال ابن القيم: شبه سبحانه من آتاه كتابه وعلمه العلم الذي منعه غيره، فترك العمل به واتبع هواه وآثر سخط الله على رضاه، ودنياه على آخرته، والمخلوق على الخالق، بالكلب الذي هو من أخبث الحيوانات وأوضعها قدرا، وأخبثها نفسا، وهمته لا تتعدى بطنه، وأشدها شرَهًا وحرصا، ومن حرصه أنه لا يمشي إلا وخطمه في الأرض يتشمم و يتروح حِرصا وشرَهًا، ولا يزال يشمُّ دبره دون سائر أجزائه، وإذا رميت له بحجر رجع إليه ليعضه من فرط نهمته، وهو من أمهن الحيوانات وأحملها للهوان وأرضاها بالدنايا.

قال ابن جريج : الكلب منقطع الفؤاد، لا فؤاد له، إن تحمل عليه يلهث، أو تتركه يلهث، فهو مثل الذي يترك الهدى. لا فؤاد له إنما فؤاده منقطع.

مراده بانقطاع فؤاده أنه ليس له فؤاد يحمله على الصبر، وترك اللهث، وهكذا الذي انسلخ من آيات الله لم يبق معه فؤاد يحمله على الصبر عن الدنيا، وترك اللهف عليها، فهذا يلهث على الدنيا من قلة صبره عليها وهذا يلهث من قلة صبره على الماء.

وقال ابن عباس: إن تحمل عليه الحكمة لم يحملها، وإن تركته لم يهتد إلى خير، كالكلب إن كان رابضا لهث وإن طرد لهث.

وتأمل ما في هذا المثل من الحكم والمعنى:

فمنها: قوله: "آتيناه آياتنا" فأخبر سبحانه أنه هو الذي آتاه آياته فإنها نعمة، والله هو الذي أنعم بها عليه فأضافها إلى نفسه.

ثم قال: "فانسلخ منها" أي : خرج منها، كما تنسلخ الحية من جلدها، وفارقها فراق الجلد ينسلخ عن اللحم، ولم يقل: فسلخناه منها، لأنه هو الذي تسبب إلى انسلاخه منها بإتباع هواه.

ومنها: قوله سبحانه: "فأتبعه الشيطان" أي : لحقه وأدركه، فكان محفوظا محروسا بآيات الله، محمِيَّ الجانب بها من الشيطان لا ينال منه شيئا إلا على غرة وخطفة، فلما انسلخ من آيات الله ظفر به الشيطان ظفر الأسد بفريسته، فكان من الغاوين العاملين بخلاف علمهم الذين يعرفون الحق ويعملون بخلافه كعلماء السوء.

ومنها: أنه سبحانه قال: "ولو شئنا لرفعناه بها"، فأخبر سبحانه أن الرفعة عنده ليست بمجرد العلم، فإن هذا كان من العلماء، وإنما هي باتباع الحق و إيثاره، وقصد مرضاة الله تعالى فإن هذا كان من أعلم أهل زمانه ولم يرفعه الله بعلمه ولم ينفعه به فتعوذ بالله من علم لا ينفع.

وأخبر سبحانه أنه هو الذي يرفع عبده إذا شاء بما آتاه الله من العلم، وإن لم يرفعه الله فهو موضوع، لا يرفع أحد به رأسا.

والمعنى: ولو شئنا فضلناه وشرفناه ورفعنا قدره ومنزلته بالآيات التي آتيناه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما : ولو شئنا لرفعناه بعلمه بها.

وقوله: "ولكنه أخلد إلى الأرض"، قال سعيد بن جبير: ركن إلى الأرض، وقال مجاهد: سكن، وقال مقاتل: رضي بالدنيا وقال أبو عبيدة: لزمها وأبطأ.

وقوله: "واتبع هواه"، قال الكلبي: أي اتبع مسافل الأمور، وترك معاليها.

سعيد البحراوي

التنبيه إلى مسالك استدلال الفقيه

ـ المقدمة الممهّدة ـ

هذه مقدمة ممهدة للمسلك الثاني الخاص بدلالة اللفظ، أي: النظر في مراد المتكلم بعد معرفة اللفظ، و"معلوم أن العلم إنما يتم بصحة مقدماته والجواب عن معارضاته ليحصل وجود المقتضى وزوال المانع".

ولا أعني المقدمة الفقهية التي يستدل بها الفقيه لتقرير الحكم، كقولهم: "من أراد أن يعرف أن هذا المسكر المعين محرم، فإن كان يعرف أن كل مسكر محرم، ولكن لا يعرف هل هذا المسكر المعين يسكر أم لا؟

لم يحتج إلا إلى مقدمة واحدة، وهو أن يعلم أن هذا مسكر، فإذا قيل له: هذا حرام، فقال: ما الدليل عليه؟ فقال المستدل: الدليل على ذلك، أنه مسكر، تم المطلوب".

وقد يحتاج إلى أكثر، وقد لا يلزم.

ولكن قواعد ممهدة لفهم المراد على طريقة السلف.

القاعدة الأولى:

قال ابن القيم: **"معرفة حدود ما أنزل الله على رسوله أصل العلم وقاعدته وآخيته، التي يرجع إليها فلا يخرج شيئا من معاني ألفاظه عنها، ولا يدخل فيها ما ليس منها، بل يعطيها حقها ويفهم المراد منه".**

هذه القاعدة تقرر لنا ثلاثة أمور:

الأمر الأول: إخراج بعض المعاني عن حقيقة اللفظ.

من ذلك:

البينة في كلام الله ورسوله وكلام الصحابة، اسم لكل ما يبين الحق، قال تعالى: "قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ" الأنعام 57.

"وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى" طه 133.

وقال تعالى: "وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ" البينة 4.

فهذه الآيات وغيرها كثير تدل على مفهوم البينة وأنها تعمُّ وتشمل كل ما يبين الحق.

فخصَّها الفقهاء بالشاهدين، أو الشاهد واليمين، وحملوا قول النبي صلى الله عليه وسلم "البينة على المدعي" عليه وهذا اصطلاح حادث يخالف مفهوم البينة الذي يشمل كل ما يبين الحق من شهود أو دلالة.

وفي هذا تضييع لحقوق الله تعالى وحقوق العباد.

يقول ابن القيم: "ولا يقف ظهور الحق على أمر معين لا فائدة في تخصيصه به مع مساواة غيره في ظهور الحق أو رجحانه عليه ترجيحا لا يمكن جحده ودفعه".

والمقصود أن ظهور الحق لا يتوقف على ما خصه الفقهاء من الشاهدين أو الشاهد واليمين، بل المعتبر في ذلك كل ما يبين الحق ويجليه من الأمارات أو القرائن أو شواهد الحال، فقد تكون هذه المذكورات مساوية لمفهوم البينة عند الفقهاء في الظهور، وقد تكون أرجح منها في بيان الحق، والمقصود والمطلوب التمييز بين الصادق والكاذب والمحق والمبطل وهذا لا يتوقف على الشهود بل يشمل أيضا الدلائل، ومنه القافة ورائحة الخمر والأوصاف الظاهرة بالنسبة للقطة ونحو ذلك.

قال ابن القيم: "ولم تزل الأئمة والخلفاء يحكمون بالقطع إذا وجد المال المسروق مع المتهم وهذه القرينة أقوى من البينة (عند الفقهاء) والإقرار فإنهما خبران يتطرق إليهما الصدق والكذب ووجود المال معه نص صريح لا يتطرق إليه شبهة".

فالصحيح المعتبر أن البينة تعم القول والفعل والوصف وبهذا جاء الشرع.

فالإخراج من غير موجب يلزم منه الحصر، وفي هذا إهدار وإبطال لمراد المتكلم.

نفعنا الله بما علمنا، وجعله حجة لنا لا علينا.

ويدخل في هذا الباب على سبيل التمثيل لا الحصر تنزيل معنى اللفظ النادر منزلة اللفظ الغالب المستعمل.

فلابد من اعتبار المعنى الأصلي للفظ، لأنه المراد شرعا ابتداء، فإن علم من أدلة الشرع جواز إطلاق اللفظ في غير ما وضع له، التزم في ذلك الموطن فقط، وبالتالي حمل اللفظ على غير المستعمل في موطن الاستعمال تحميله ما لا يحتمل، وهذا يحتاج إلى تتبع وملكة وتقوى، وهذه خصيصة الراسخين في العلم وحسبنا أن نقطف من أطايب ثمرهم.

فإذا لم ينتهض دليل يصرف به أصل الاستعمال أو المفهوم بالاستعمال في الشرع من دلالة السياق ونحو ذلك، وجب التزامه وإعماله.

وقد أفردت قاعدة لبيان أثر الامتثال ومحبة الله ورسوله في فهم المراد، فترقبوها.

وبالمثال يزول الإشكال ويتضح المقام.

فغالب استعمال لفظة الطهور إذا تعلق بها الحكم جاء في مقابل الحدث أو الخبث.

لذا قال ابن رشد في البداية :(5 /1) "اتفق المسلمون على أن الطهارة الشرعية طهارتان: طهارة من الحدث، وطهارة من الخبث".

والنصوص الدالة على ذلك كثيرة جدا، منها:

قال تعالى: "وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً".

وعن عائشة قالت: "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب التيمن في طهوره إذا تطهر، وفي ترجله إذا ترجل، وفي انتعاله إذا انتعل". رواه البخاري بنحوه.

وعن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "مفتاح الصلاة الطهور، وتحريمها التكبير، وتحليلها التسليم" رواه الترمذي بسند صحيح.

وعن سلمة بن المحبق رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أتى على بيت، فإذا قربة معلقة، فسأل الماء، فقالوا: يا رسول الله إنها ميتة، فقال: "دباغها طهورها". رواه النسائي بسند صحيح

لكن ورد استعمالها في مقابل المرض مثلا:

مثل قول النبي :صلى الله عليه وسلم "لا بأس طهور إن شاء الله".

ومثل قول النبي :صلى الله عليه وسلم "ما ابتلى الله عبدا ببلاء وهو على طريقة يكرهها، إلا جعل الله ذلك البلاء له كفارة وطهورا".

فإذا لم ينتهض دليل يصرف به أصل الاستعمال أو المفهوم بالاستعمال في الشرع من دلالة السياق ونحو ذلك، وجب التزامه وإعماله.

فهذه سبيل سابلة لفهم مراد الله ورسوله لمن التزم هدي السلف وحذر سبل أهل الزيغ والضلال من المتكلمة ونحوهم.

العدد 14 - 07 شعبان 1427 الموافق لـ 01 سبتمبر 2006

قرآن وسنة

رمضان شهر القرآن

قال الله تعالى: "شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ" وقال تعالى: "إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ"، ومن السنة تلاوة القرآن في هذا الشهر والإكثار منها، ومدارسة القرآن..

ففي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم من أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن".

وقال صلى الله عليه وسلم: "الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب.. منعته الطعام والشهوات بالنهار، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه، فيشفعان" رواه أحمد حسنه الألباني.

وكان بعض السلف يختم القرآن في قيام رمضان في كل ثلاث ليال.. وكان للشافعي ستون ختمة في هذا الشهر غير ما يقرأه في الصلاة!

قال الزهري: إذا دخل رمضان فإنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام.

وقال محمد بن كعب: كنا نعرف قارئ القرآن بصفرة لونه، يشير إلى سهره وطول تهجده.

وقال وهيب بن الورد: قيل لرجل: ألا تنام؟ قال: إن عجائب القرآن أطَرن نومي.

وأنشد ذو النون:

منع القــرآن بوعده ووعيده

مقل العـيون بليلها لاتهجــعُ

فهموا عن الملك العظيم كلامه

فهماً تذل له الرقــاب وتخضعُ

شهـــر شعبـــان

إن من نعم الله تعالى على عبده أن يزيد له في عمره ويمد له في أجله، ليبلغه مواسم طاعته، فكل يوم يبقاه في هذه الدنيا هو غنيمة له ليتزود منه لآخرته، ويحرث فيه ما استطاع ويبذر فيه من الأعمال ما استطاعته نفسه وتحملته.

وها قد مضى أيها الأحبة شهر رجب، ودخل شعبان، وفاز من فاز بالتقرب والاستعداد في رجب لرمضان، ودخل شعبان والناس عنه في غفلة.

شعبان هو اسم للشهر، وقد سمي بذلك لأن العرب كانوا يتشعبون فيه لطلب المياه، وقيل تشعبهم في الغارات، وقيل لأنه شَعَب أي: ظهر بين شهري رجب ورمضان، ويجمع على شعبانات وشعابين .

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قلت يا رسول الله: "لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان؟ قال: "ذاك شهر تغفل الناس فيه عنه، بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، وأحب أن يرفع عملي وأنا صائم" رواه النسائي.

ومن شدة محافظته صلى الله عليه وسلم على الصوم في شعبان أن أزواجه رضي الله عنهن، كن يظن أنه يصوم شعبان كله، مع أنه صلى الله عليه وسلم لم يستكمل صيام شهر غير رمضان، فهذه عائشة رضي الله عنها تقول: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم، وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان، وما رأيته في شهر أكثر صياما منه في شعبان" رواه البخاري ومسلم.

وقد رجح طائفة من العلماء منهم ابن المبارك وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يستكمل صيام شعبان، وقال ابن حجر رحمه الله: "كان صيامه في شعبان تطوعا أكثر من صيامه فيما سواه وكان يصوم معظم شعبان" .

قال ابن رجب رحمه الله: "صيام شعبان أفضل من صيام الأشهر الحرم، وأفضل التطوع ما كان قريب من رمضان قبله وبعده، وتكون منزلته من الصيام بمنزلة السنن الرواتب مع الفرائض قبلها وبعدها، وهي تكملة لنقص الفرائض، وكذلك صيام ما قبل رمضان وبعده، فكما أن السنن الرواتب أفضل من التطوع المطلق بالصلاة، فكذلك يكون صيام ما قبل رمضان وبعده أفضل من صيام ما بَعُد عنه".

وكانت إذا دخل شعبان وعليه بقية من صيام تطوع لم يصمه قضاه في شعبان حتى يستكمل نوافله بالصوم قبل دخول رمضان - كما كان إذا فاته سنن الصلاة أو قيام الليل قضاه - فكانت عائشة حينئذ تغتنم قضاءه لنوافله فتقضي ما عليها من فرض رمضان حينئذ لفطرها فيه بالحيض، وكانت في غيره من الشهور مشتغلة بالنبي صلى الله عليه وسلم.

فيجب التنبه والتنبيه على أن من بقي عليه شيء من رمضان الماضي فيجب عليه صيامه قبل أن يدخل رمضان القادم، ولا يجوز التأخير إلى ما بعد رمضان القادم إلا لضرورة (مثل العذر المستمر -كالمرض المزمن المصاحب للمريض- بين الرمضانين)، ومن قدر على القضاء قبل رمضان ولم يفعل فعليه مع القضاء بعده التوبة وإطعام مسكين عن كل يوم، وهو قول مالك والشافعي وأحمد.

ولما كان شعبان كالمقدّمة لرمضان فإنه يكون فيه شيء مما يكون في رمضان من الصيام وقراءة القرآن والصدقة، قال سلمة بن سهيل كان يقال: شهر شعبان شهر القراء، وكان عمرو بن قيس الملائي إذا دخل شعبان أغلق حانوته وتفرغ لقراءة القرآن.

وحري بالمؤمن في هذا الشهر المبارك أن يكثر من الطاعات والقرب ويجتنب المحدثات والبدع التي من شأنها أن تفسد عمله، وتحبط طاعته من ذلك:

-صلاة البراءة: وهي تخصيص قيام ليلة النصف من شعبان وهي مائة ركعة.

– صلاة ست ركعات: بنية دفع البلاء وطول العمر والاستغناء عن الناس.

– قراءة سورة "يس" والدعاء في هذه الليلة بدعاء مخصوص بقولهم "اللهم يا ذا المن، ولا يمن عليه، يا ذا الجلال والإكرام.."

- اعتقاد أن ليلة النصف من شعبان هي ليلة القدر..

قال الشقيري: وهو باطل باتفاق المحققين من المحدثين. اهـ "السنن والمبدعات 146"

وذلك لقوله تعالى: " شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ" وقال تعالى: "إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ" وليلة القدر في رمضان وليست في شعبان.

اللهم بلغنا رمضان

إن العبد ليأنس بعبوديته لله عز وجل وطاعته فيما أمر، فيستشعر المؤمن في ذلك التكليف تشريفا:

وممـا زادني شرفاً وتيــــــها

وكدت بأخمصي أطأ الـثريا

دخولي تحت قولك ياعبادي

وأن سيرت أحمد لي نــــبيا

وعندما نشعر بهذا التشريف تأتي لذة الطاعة وحلاوة الإيمان، ورحم الله الحسن البصري إذ قال: لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من لذة لجالدونا عليها بالسيوف.

وجعل الله عز وجل لطاعته مواسم ونفحات يضاعف فيها الحسنة ويعين عليها وألزمنا التعرض لها، ومن هذه المواسم وآكدها شهر رمضان، فيدعو المؤمن ربه قبل قدومه أن يبلغه إياه ليفوز بخيره ويزداد فيه من الطاعة فيلهج بلسانه: "اللهم بلغنا رمضان" كما يلهج القريب أن يجتمع بقريبه والحبيب بحبيبه، بعد فراق طال أو قصر، ويتمنى أن يستمر حينما يجتمع به، وهكذا في رمضان عندما يُبَلِّغه إياه يتمنى أن تكون السنة كلها رمضان.

فالأمة تعلم أن رمضان شهر المغفرة وشهر العتق من النار، وشهر الرحمة وشهر الصبر، وفيه تصفد الشياطين وتسلسل، وفيه تفتح الجنة وتغلق النار، من حرم فيه الخير فقد حرم وخاب وخسر وبَعُدَ، دعا بذلك جبريل الأمين عليه السلام وأمّن على دعائه محمد عليه أفضل الصلاة والسلام: "خاب وخسر من أدركه رمضان ولم يغفر له، فقل آمين فقلت: آمين".

فيا عباد الله نعرف أناسا كثيرين كانوا معنا في رمضان الماضي ثم هم الآن في القبور واستبقانا الله عز وجل وبلغنا رمضان هذا العام ولعله يكون آخر رمضان لنا، فهل جعلناه كذلك ونتدارك ما قصرنا فيه في رمضانات سابقة وندع الأماني والتسويف، ومع أول هلال رمضان أو قبله نبدأه بتوبة صادقة وعمل دؤوب مستمر، فقد كان لنا في رمضان الماضي كثير من الأمنيات لم نحققها، فمنا من تمنى أن يتصدق ولم يفعل، ومنا من تمنى أن يقيم جميع ليالي رمضان وترك معظمها، وآخر تمنى أن يختم القرآن عدداً من المرات ولم يختمه واحدة، وآخر..... وآخر..... وهكذا غرق الجميع في بحر الأماني دونما عمل.

إذا تمنيتُ بتّ الليل مغتبطـــــــا

إن المنى رأس أموال المفاليس

فمثل هذا لا يدرك المعالي، ولا يرتقي في درج المكارم، قال أبو تمام:

من كان مرعى عزمه وهمومه

روض الأماني لم يزل مهزولا

وإنما يأتي ذلك بالجد والاجتهاد، والصبر والمصابرة، قال تعالى: "لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً"، فليس دخول الجنة والظفر بمراتبها العلية، ولا النجاة من النار ومن دركاتها الدنية بالأماني، ولكن بالإيمان الصادق والعمل الصالح وهذا إنما يكون ببذل الطاقة ترقيا في مراتب الكمال، وترفعا عن دركات النقصان.

فمن لم يرتقي بنفسه إلى درجات الكمال في رمضان، متى يرتقي؟

نسأل الله عز وجل أن يبلغنا رمضان ويوفقنا فيه إلى طاعته واغتنامه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

عبد الله محتسب

العدد 14 - 07 شعبان 1427 الموافق لـ 01 شتنبر 2006

الحلقة الثالثة

وثيقة "الكتاب الأبيض"
بين أحلام العلمانيين وسبات المعنيين

عبد الصمد المرابطي

إن أول ما يطرق بال القارئ المسلم وهو يقرأ الكتاب الذي سمته الوزارة بالأبيض -والحقيقة أنه كتاب أسود ولكن جرت العادة عند القوم تسمية المسميات بغير أسمائها كخطوة أولى في مسيرة التضليل- ما هي مكانة الدين في هذا المشروع؟ البعيد عن الشرع طبعا.

الملاحظ أن حتى المفردات لم تسلم من اعتداءات المعتدين- إن مفردة الدين، كانت هي أول تسمية سبقت تسمية الأخلاق لتأتي بعدها تسمية التربية الإسلامية، والغريب أن هذه التسمية هي أيضا مهددة بالانقراض لأن الوزارة اقترحت اسما جديدا هو الحضارة الإسلامية، طبعا ففي مرحلة موالية سيتم تدريس شرع الله عز وجل على أنه نصوص وأخبار تحِيل على حقبة من التاريخ، كما هو الشأن بالنسبة للحضارة اليونانية وغيرها، إن هذا ليس ادعاء بمعرفة ما يجري في المستقبل معاذ الله، ولكن استقراء لمن يسير الغوغاء على نهجهم، ظنا منهم إن مرحلة ما يسمونه عصر الأنوار عند الغرب قد حلت عندنا، لذا فهم ينسقون مع منظريهم في الداخل والخارج، ولكن كل هذا لن يصمد كثيرا فوعد الله حق، ويكفينا سرد واقعة حدثت في زمن الاحتلال زمن الحديد والنار وبتوقيع الكفار، ومن باب وشهد شاهد من أهلها.

"قامت فرنسا بتجربة عملية، انتقت فيها عشر فتيات جزائريات مسلمات، أدخلتهن الحكومة الفرنسية في مدارسها، ألبستهن الثياب الفرنسية، ولقنتهن الثقافة الفرنسية، وعلمتهن اللغة الفرنسية، فأصبحن كالفرنسيات تماما.

وبعد أحد عشر عاما من الجهود هيأت لهن حفلة تخرج رائعة دعي إليها الوزراء والمفكرون والصحفيون، ولما ابتدأت الحفلة فوجئ الجميع بالفتيات الجزائريات يدخلن بلباسهن الإسلامي، فثارت ثائرة الصحف الفرنسية، وتساءلت: ماذا فعلت فرنسا في الجزائر بعد مرور مائة وثمانية وعشرين عاما؟ فأجاب "لاكوست" وزير المستعمرات الفرنسي: "وماذا أفعل إذا كان القرآن أقوى من فرنسا؟".

نقدم هذا الجواب مع أسطر فوق مائة وثمانية وعشرون عاما لعميان البصر والبصيرة والذين يسمون أنفسهم بالمنظرين ولنقرأ مقدمة الجزء الثاني من المشروع والمعنون بتنظيم الدراسة في التعليم الابتدائي الصفحة 15. ومن مستجدات الإصلاح التربوي دمج التعليم الأولى في منظومة التعليم الابتدائي عند تحقيق تعميم هذا الأخير في 2005 بغية تمكين شريحة عمرية مهمة من ولوج المدرسة في سن مبكرة ابتداء من السنة الرابعة، يتمحور برنامج السنتين الأولى والثانية من السلك الأساسي أي التعليم الأولي حول مجموعة الأنشطة المناسبة لنمو الطفل، الوثيقة صدرت بتاريخ 2001، وقد مرت خمس سنوات ولم يعمم التعليم الأولي فهو لازال تحت رحمة التعليم الخصوصي، هل هذا التأخر عرضي كالمعتاد؟



الجواب لا أبدا، لأن تدريس الأمازيغية لم يبدأ بعد في المغرب ومع ذلك خصص غلاف زمني لهذه المادة في غياب المدرسين المتمكنين من الأمازيغية، وبعد ذلك تم تكوين أفواج محدودة وأيضا مع غياب مقررات، لماذا لم يبدأ تعميم التعليم الأولي ولو بشكل مرحلي في مدن معينة.

لا يمكن ذلك، لأنه يتعارض مع المخطط، فظاهرة الاغتراب والتي أعد فيها أحد الأساتذة الجامعيين بحثا قيما يفضح فيه بعضا من مظاهر الانحلال الخلقي والإباحية من خلال نصوص مقررات دراسية -والتي سنتطرق لها في موضع آخر إن شاء الله- من الفروض أن تجعل من المغاربة بدون هوية وإذا فكروا في البحث عنها فبعيدا عن الدين، وبالضبط في الفكر الغربي، لأنه تقرر منذ الطفولة أن معرفة اللغة الفرنسية تكسب النجاح وتعزز الثقة بالنفس من خلال مردودية النقط المحصل عنها نتيجة ارتفاع المعامل، وبالمقابل فإن فئة أخرى لم تلوث مبكرا تزرع فيها شعورا خاطئا، وهو أنه من العيب جهل معاني مفردات فرنسية وكذا نطقها، في حين أن معرفة معاني كلمات وآيات القرآن الكريم أمرا غير ذي بال.

ثم ينتقل أغلبهم إلى الساحة المزيفة بأن تكون مادة اختيارية -هنا يبدأ وحش الاغتراب في التهام الصنفين، سواء الذين تعلموا الفرنسية أو الذين لم يظفر بهم الاغتراب بعد، فئة ترى أنها محظوظة لأنها تعلمت الفرنسية مبكرا وأن الفرنسية سبيل للنجاح والتفوق، حيث تشجيعات الأساتذة وتأثير ذلك على المعدل ومن تم تشجيعات المجالس أو الإدارة، وفئة تتحصر على جهلها بهذه اللغة وعدم تعلمها مبكرا، وأن تعلم اللغة الفرنسية والتفكير بواسطتها ومعرفة العالم من خلالها سبيل للنجاح، والتعثر الدراسي سيفعل فعلته بهذه النظرة التي ستكرسها المدرسة من خلال باقي الخطوات التي عرفها مسلسل الإجهاز على التربية الإسلامية.

جودة التعليم وأثرها في بناء المجتمع

عندما تكتشف الأمة الفجوة الهائلة التي تفصلها عن الركب العالمي المتطور، وعندما تتكالب عليها أشد الظروف وأقساها، وعندما تذلهم أيامها وتحيط بها الأزمات وتحل بها النكبات، فلا عاصم لها عندئذ بعد الله إلا التعليم، وعندما نقول التعليم نعني العلم الذي حض عليه الشارع الحكيم والذي تكون ثمرته خدمة الدين بالدنيا، ولا تحسبن أن مجرد خروج كل مَن هُم في سن التعليم إلى مدارسهم كل صباح يعني سلامة الوضع التعليمي.

إن التعليم والإصلاح وجهان لعملة واحدة محورهما هو الإنسان وغايتها بناء الفرد والمجتمع من أجل تحقيق مقاصد الشرع، وكذا تنمية مستدامة بكفاءة عالية تتسع فيها خيارات الحياة من كل الناس.

إن التعليم أهم مخصب لأنشطة البناء والتنمية، وإن مستوى جودة التعليم يؤثر تأثيرا مباشرا في صلاح المجتمع، وفي النمو الاقتصادي وعامل الانتاج الكلي، فتأثير جودة التعليم في معدلات التنمية البشرية المستدامة يأتي من مدى نجاح النظام التعليمي في بناء وتنمية المهارات والكفاءات والطاقات البشرية القادرة على العمل والانتاج وتشغيل مؤسسات المجتمع بكفاءة واقتدار ومايعرف بالمردود التنموي للتعليم. فكلما ارتفعت معدلات الجودة في التعليم زاد مردوده التنموي وبالتالي تمكن المجتمع من تحقيق معدلات أعلى من الوعي والتنمية والتقدم.

إن عناصر الجودة النوعية في النظام التعليمي تكمن في مواد التعليم ومناهجه وطرائقه وتقنياته، وغاياته وأهدافه واستراتيجيته، وكفايات العاملين في قطاع التعليم خاصة المعلمين، وعمليات وأساليب وأدوات التقويم التي تقيس مدى تحقق الأهداف المنشودة، وتلقي الضوء على أي خلل أو وهن في البناء المؤسسي، ثم إن جودة التعليم تعتمد على كيفية التمدرس وليس على زمن التمدرس.

كما أن الجودة النوعية هي القيمة المضافة لتحصيل التلميذ نتيجة لوجوده في المدرسة، وقد تترتب مجموعة من الأزمات والفجوات إذا ضيعت الجودة النوعية في التعليم مثل فجوة المعرفة وفجوة التعليم وفجوة الكفاءة والتوقع، وعدم بناء وتنمية المهارات والكفايات والطاقات عند الموهوبين.

لقد أفرز ضعف الجودة النوعية في التعليم مشكلات مثل: الدروس الخصوصية التي أساءت إلى مستوى الثقة والتعاون بين الأسرة والمدرسة، وأصبحت تمثل عبئا ماديا ونفسيا على كاهل الأسر، وتستنفد المجتمع وطاقاته وتستنفد السيولة وتقتل دور المدرسة بالكامل، بالإضافة إلى شيوع قيم غير تربوية وغير أخلاقية في الممارسات التعليمية مثل الغش الفردي والجماعي في الإمتحانات والممارسات الشاذة، وإفراغ التعليم من مضمونه السلوكي الشامل، والإقتصار على إكساب المعارف والمعلومات وإهمال القيم والأخلاق الإسلامية وشحذ المهارات، وشيوع البطالة الظاهرة والمقنعة في صفوف الخريجين، وانفصال المدرسة عن الحياة وعدم إدراك وحدة المعرفة وتكاملها، وعدم تحقيق الفروق الفردية وتمكين المتعلم من اكتشاف ذاته لشيوع الأدوار التسلطية للمعلمين.

العدد 14 - 07 شعبان 1427 الموافق لـ 01 سبتمبر 2006

نشأة علوم الحديث ودورها في حماية السنة -عصر الصحابة-

بقلم: محمد علي حاجبي

لقد من الله على أمة الإسلام بحفظ دينها عليها وذلك بحفظ القرآن وسنة النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، وإذا كان الله تعالى قد تكفل بحفظ كلامه في صدور أهل العلم جيلا بعد جيل، وبين دفات المصاحف فقد يسر سبحانه كذلك أسبابا لحفظ سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، لما للسنة من أهمية بالغة في شرع الله جل وعلا، فهي ملازمة للكتاب مفسرة له مبينة لمقاصده، فكان من جراء ذلك أن بقيت صفات وأقوال وأفعال وتقريرات رسول الله صلى الله عليه وسلم محفوظة مصونة للأمة على مرّ الأجيال نستفيد منها الهدي القويم والخلق السديد، وستبقى كذلك إلى قيام الساعة إن شاء الله، فلم تعن أمة من الأمم بنبي من أنبيائها ولا بعظيم من عظمائها كما اعتنى علماء الإسلام بهدي نبيهم صلى الله عليه وسلم.

ولقد كان من أعظم الأسباب التي يسرها الله تعالى لحفظ سنة نبيه نشأة علوم الحديث، هذا النشوء الذي استدعاه انتشار السنة نفسها وتشعب الأسانيد وطولها وفشو الكذب وافتراق الأمة شيعا وأحزابا.

ومن المعروف أن الله تعالى خص أمة الإسلام بعلوم الحديث، فلم يحفظ اليهود هدي موسى عليه السلام بالأسانيد، ولا صان النصارى سنة نبي الله عيسى عليه السلام، فضلا عن أن يكون لقومهما علوم خادمة لهديهما، وقد قيل إن أصح إسناد عن النصارى فيه انقطاع يبلغ ثلاثمائة عام، ولا شك أن الأمة خصت بعلوم الحديث لأن دينها نسخ عامة الأديان السماوية التي كانت قبله، ولأن الله أراد الخلود والكمال للإسلام إلى قيام الساعة دون غيره.

خلال فترة البعثة المحمدية التي امتدت لثلاث وعشرين سنة كانت سنة نبينا عليه الصلاة والسلام قد أنزلت منزلتها اللائقة بها، وعلم الصحابة الأجلاء آنذاك أن لا سبيل لرضى الله عز وجل والفوز بسعادة الدارين إلا بكلام الله تعالى، وببيان نبيه صلى الله عليه وسلم، ولقد كان عندهم ـ رضي الله عنهم ـ حرص كبير على الاقتباس من نور النبوة، وعلى الإصغاء لنبيهم بالقلوب قبل الأسماع، وعلى الالتفاف حوله بالأرواح قبل الأجساد، فما تركوا من هديه قولا إلا ونقشوه في قلوبهم، ولا فعلا إلا وضبطوه في صدورهم، وأظهروه على جوارحهم، لأنهم أيقنوا أنه معلم الناس الخير فتتلمذوا على يديه، وعلموا أنه سيد ولد آدم فعرفوا منة الله عليهم أن اصطفاهم لصحبته، فعظموه ووقروه وبجلوه، وعلموا أنه رسول الله حقا فلم يتقدموا بين يديه فلله درّهم.

فلما كمل الدين وتمت النعمة وبلغ النبي صلى الله عليه وسلم الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة ونزل قول الله تعالى: "إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً"، إعلاما بقرب أجل رسول الله الذي التحق بأبي هو وأمي بالرفيق الأعلى، وانقطع الوحي، عندها علم الصحابة عظم الأمانة التي عليهم تجاه الأمة إذ كانوا الواسطة بينها وبين نبيها في تبليغ هديه، وأدركوا خطورة الأمر وأنه تكليف وأي تكليف، وأنه حمل ثقيل تنوء بمثله الجبال، فشمروا عن سواعد الجد وعزموا على نشر الدين وتبليغ الدعوة ونشر الهدي النبوي، مما زاد من عظم المسؤولية الملقاة عليهم ـ رضي الله عنهم ـ علمهم بوجوب التوثق في الأخبار، والتحري في قبول ناقليها، من ذلك قول الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ" الحجرات6، ولله الحمد والمنة فقد اجتمع في جيل الصحابة من دوافع نشر السنة وتعليمها ومن أسباب التوثق والتورع ما جعلهم يقومون بأداء الأمانة خير أداء على الوجه الذي يكفل نقلها للأجيال من بعدهم.

ولقد جاءت أخبار عديدة وآثار فريدة في بيان توثق الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ في نقل السنة في حياته صلى الله عليه وسلم قبل وفاته، من ذلك ما أخرجه البخاري في كتاب "العلم: باب التناوب في العلم" عن عمر رضي الله عنه قال: "كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد -وهي من عوالي المدينة - وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ينزل يوما وأنزل يوما، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك، فنزل صاحبي الأنصاري يوم نوبته، فضرب بابي ضربا شديدا فقال أثم هو؟ ففزعت فخرجت إليه فقال: قد حدث أمر عظيم، قال: فدخلت علي حفصة فإذا هي تبكي فقلت: طلقكن رسول الله؟ قالت: لا أدري، ثم دخلتُ على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت وأنا قائم: أطلقت نسائك؟ قال: لا، فقلت: الله أكبر".

أما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فقد ازداد شعور الصحابة بضرورة التوثيق في نقل السنة إذ لم يعد بإمكانهم الرجوع إلى نبيهم صلى الله عليه وسلم للتثبت، كيف وقد واروه التراب بأيديهم.

من ذلك ما أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "كنت في مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور فقال: استئذنت على عمر ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت، فقال: ما منعك؟ قلت: استئذنت ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت، وقال رسول الله: "إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له، فليرجع" فقال: "والله لتقيمن عليه بينة"، أمنكم أحد سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال أبي بن كعب: والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم، فكنت أصغر القوم، فقمت معه، فأخبرت عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك".

بل لقد كان عمر رضي الله عنه كما يقول الإمام الذهبي هو الذي سنّ للمحدثين التثبت في النقل، ولم يكن باقي الصحابة بأقل شعورا من عمر بعظم الأمانة وثقل الحمل، فقد قال التابعي الكبير عبد الرحمن بن أبي ليلى: "أدركت عشرين ومائة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فما كان منهم أحد إلا ودَّ أن أخاه كفاه الحديث، ولا مفتي إلا ودّ أن أخاه كفاه الفتيا".

كل هذا التشديد في رواية السنن كان قبل مقتل عثمان رضي الله عنه، هذا الحدث الذي شكل ثلمة في حصن الإسلام، وكان له من الآثار العظيمة ما يكاد يكون بها السبب الرئيس لما تلاه من نكبات في تاريخ الأمة، وكان من أكبر نتائجه افتراق الأمة وظهور الفرق عقدية تارة وسياسة أخرى، عند ذلك بدأت دواعي التقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم تظهر نصرة للمذهب الذي تحزب له الجهلة وأهل الأهواء.

وبظهور هذه الفتنة بالغ الصحابة بالتشدد في الرواية وقد كان في قوله ابن عباس رضي الله عنهما: "إنا كنا إذا سمعنا رجلا يقول: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف"، إعلانا بالمنهج الذي ساد آنذاك بين الصحابة بخصوص تلقي السنة.

هذا التثبيت في تلقي السنة شكل النواة لنشوء علم جديد من علوم الحديث، وهو علم الجرح والتعديل، كما شكل إعلانا عن بداية حقبة جديدة في الرواية تختلف عن سابقتها التي لم يكن يحدَّث فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا صحابي عدل مزكى يتحرى الصدق ويخشى الكذب، أما الحقبة التي تكلم عنها ابن عباس فيحدِّث فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يلقه، فلا بد أن يكون له في حديثه واسطة، ثم إنه هو نفسه ليس له شرف الصحبة ولا عدله الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم.

فكان لا بد من معرفة الواسطة المحذوفة لمعرفة مدى ثقتها، وذلك بعد التوثق من ثقة المرسل نفسه، كل هذا كان تطبيقا عمليا لعلم الجرح والتعديل وأول سؤال عن الإسناد وأول رفض للمراسيل، وقد أشار لنشوء هذين العلمين (علم الجرح والتعديل، وعلم الإسناد) واحد من أئمة التابعين وهو محمد بن سيرين، قال رحمه الله: "لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم".

مما سبق إذن يتبين أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا أول من بدأ بإنشاء ما عرف بعد بعلوم الحديث، وبانقراض عصرهم يتسلم التابعون مشعل الدفاع عن السنة وتمييزها من غيرها، يحدوهم في ذلك الرغبة في الأجر العظيم والثواب الجزيل، ويحركهم الشعور العميق بعظم المسؤولية الملقاة على عاتقهم.

العدد 14 ـ 07 شعبان 1427 الموافق لـ 01 سبتمبر 2006

النصـــيريـــة

التعريف:

النصيرية حركة باطنية ظهرت في القرن الثالث للهجرة، أصحابها يعدُّون من غلاة الشيعة الذين زعموا وجوداً إلهيًّا في علي وألهوه به، مقصدهم هدم الإسلام ونقض عراه، وهم مع كل غاز لأرض المسلمين، ولقد أطلق عليهم الاستعمار الفرنسي لسوريا اسم العلويين تمويهاً وتغطية لحقيقتهم الرافضية والباطنية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

مؤسس هذه الفرقة أبو شعيب محمد بن نصير البصري النميري (ت: 270هـ) عاصر ثلاثة من أئمة الشيعة وهم علي الهادي (العاشر) والحسن العسكري الحادي عشر) ومحمد المهدي (الموهوم) (الثاني عشر)، ادعى النبوة والرسالة، وغلا في حق الأئمة إذ نسبهم إلى مقام الألوهية.

خلفه على رئاسة الطائفة محمد بن جندب، ثم أبو محمد عبد الله بن محمد الجنان الجنبلاني 235 ـ 287 هـ من "جنبلا" بفارس، وكنيته العابد والزاهد والفارسي، سافر إلى مصر، وهناك عرض دعوته إلى الخصيبي.

حسين بن علي بن الحسين بن حمدان الخصيبي: المولود سنة 260 هـ مصري الأُصل جاء مع أستاذه عبد الله بن محمد الجُنبلاني من مصر إلى جنبلا، وخلفه في رئاسة الطائفة، وعاش في كنف الدولة الحمدانية بحلب كما أنشأ للنصـيرية مركزين أولهما في حلب ورئيسه محمد علي الجلي والآخر في بغداد ورئيسه علي الجسري.

اشتدت هجمات الأكراد والأتراك عليهم مما دعاهم إلى الاستنجاد بالأمير حسن المكزون السنجاري 583 ـ 638هـ ومداهمة المنطقة مرتين، فشل في حملته الأولى ونجح في الثانية حيث أرسى قواعد المذهب النصيري في جبال اللاذقية.

سليمان أفندي الأذني: ولد في أنطاكية سنة 1250هـ وتلقى تعاليم الطائفة، لكنه تنصر على يد أحد المبشرين وهرب إلى بيروت حيث أصدر كتابه الباكورة السليمانية يكشف فيه أسرار هذه الطائفة، استدرجه النصيريون بعد ذلك وطمأنوه فلما عاد وثبوا عليه وخنقوه واحرقوا جثته في إحدى ساحات اللاذقية.

عُرفوا تاريخياً باسم النصيرِية، وهو اسمهم الأصلي ولكن عندما شُكِّل حزب سياسي في سوريا باسم (الكتلة الوطنية) أراد الحزب أن يقرِّب النصيرية إليه ليكتسبهم فأطلق عليهم اسم العلويين وصادف هذا هوى في نفوسهم وهم يحرصون عليه الآن، هذا وقد أقامت فرنسا لهم دولة أطلقت عليها اسم (دولة العلويين) وقد استمرت هذه الدولة من سنة 1920م إلى سنة 1936م.

محمد أمين غالب الطويل: شخصية نصيرية، كان أحد قادتهم أيام الاحتلال الفرنسي لسوريا، ألف كتاب تاريخ العلويين يتحدث فيه عن جذور هذه الفرقة.

سليمان المرشد: كان راعي بقر، لكن الفرنسيين احتضنوه وأعانوه على ادعاء الربوبية، كما اتخذ له رسولاً (سليمان الميده) وهو راعي غنم، ولقد قضت عليه حكومة الاستقلال وأعدمته شنقاً عام 1946 م.

جاء بعده ابنه مجيب، وادعى الألوهية، لكنه قتل أيضاً على يد رئيس المخابرات السورية آنذاك سنة 1951م، وما تزال فرقة (المواخسة) النصيرية يذكرون اسمه على ذبائحهم.

ويقال بأن الابن الثاني لسليمان المرشد اسمه (مغيث) وقد ورث الربوبية المزعومة عن أبيه، واستطاع العلويون (النصيريون) أن يتسللوا إلى التجمعات الوطنية في سوريا، واشتد نفوذهم في الحكم السوري منذ سنة 1965م بواجهة سُنية، ثم قام تجمع القوى التقدمية من الشيوعيين والقوميين والبعثيين بحركته الثورية في 12 مارس 1971م وتولى الحكم العلويون برئاسة الجمهورية بقيادة حافظ الأسد ثم ابنه بشار.

الأفكار والمعتقدات:

جعل النصيرية علياً إلهاً، وقالوا بأن ظهوره الروحاني بالجسد الجسماني الفاني كظهور جبريل في صورة بعض الأشخاص.

لم يكن ظهور (الإله علي) في صورة الناسوت إلا إيناساً لخلقه وعبيده.

يحبون (عبد الرحمن بن ملجم) قاتل الإمام علي ويترضون عنه لزعمهم بأنه قد خلص اللاهوت من الناسوت، ويخطِّئون من يلعنه.

يعتقد بعضهم أن علياً يسكن السحاب بعد تخلصه من الجسد الذي كان يقيده وإذا مر بهم السحاب قالوا: السلام عليك يا أبا الحسن، ويقولون إن الرعد صوته والبرق سوطه.

يعتقدون أن علياً خلق محمد صلى الله عليه وسلم وأن محمداً خلق سلمان الفارسي وأن سلمان الفارسي قد خلق الأيتام الخمسة الذين هم:

ـ المقداد بن الأسود: ويعدونه رب الناس وخالقهم والموكل بالرعود.

ـ أبو ذر الغفاري: الموكل بدوران الكواكب والنجوم.

ـ عبد الله بن رواحة: الموكل بالرياح وقبض أرواح البشر.

ـ عثمان بن مظعون: الموكل بالمعدة وحرارة الجسد وأمراض الإنسان.

ـ قنبر بن كادان: الموكل بنفخ الأرواح في الأجسام.

يعظمون الخمرة، ويحتسونها، ويعظمون شجرة العنب لذلك، ويستفظعون قلعها أو قطعها لأنها هي أصل الخمرة التي يسمُّونها (النور).

يصلون في اليوم خمس مرات لكنها صلاة تختلف في عدد الركعات ولا تشتمل على سجود وإن كان فيها نوع من ركوع أحيانا.

لا يصلون الجمعة ولا يتمسكون بالطهارة من وضوء ورفع جنابة قبل أداء الصلاة.

ليس لهم مساجد عامة، بل يصلون في بيوتهم، وصلاتهم تكون مصحوبة بتلاوة الخرافات.

لهم قُدَّاسات شبيهة بقداسات النصارى من مثل:

قداس الطيب لك أخ حبيب.

قداس البخور في روح ما يدور في محل الفرح والسرور.

قداس الأذان وبالله المستعان.

لا يعترفون بالحج، ويقولون بأن الحج إلى مكة إنما هو كفر وعبادة أصنام!

لا يعترفون بالزكاة الشرعية المعروفة لدينا ـ نحن المسلمين ـ وإنما يدفعون ضريبة إلى مشايخهم زاعمين بأن مقدارها خمس ما يملكون.

الصيام لديهم هو الامتناع عن معاشرة النساء طيلة شهر رمضان.

يبغضون الصحابة بغضاً شديداً، ويلعنون أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين.

يزعمون بأن للعقيدة باطناً وظاهراً وأنهم وحدهم العالمون ببواطن الأسرار، ومن ذلك:

ـ الجنابة: هي موالاة الأضداد والجهل بالعلم الباطني.

ـ الطهارة: هي معاداة الأضداد ومعرفة العلم الباطني.

ـ الصيام: هو حفظ السر المتعلق بثلاثين رجلاً وثلاثين امرأة.

ـ الزكاة: يرمز لها بشخصية سلمان.

ـ الجهاد: هو صب اللعنات على الخصوم وفُشاة الأسرار.

ـ الولاية: هي الإخلاص للأسرة النصيرية وكراهية خصومها.

ـ الشهادة: هي أن تشير إلى صيغة (ع. م. س).

ـ القرآن: هو مدخل لتعليم الإخلاص لعلي، وقد قام سلمان (تحت اسم جبريل) بتعليم القرآن لمحمد.

ـ الصلاة: عبارة عن خمس أسماء هي: علي وحسن وحسين ومحسن وفاطمة، و(محسن) هذا هو(السر الخفي) إذ يزعمون بأنه سقْط طرحته فاطمة، وذكر هذه الأسماء يجزئ عن الغسل والجنابة والوضوء.

اتفق علماء المسلمين على أن هؤلاء النصيريين لا تجوز مناكحتهم، ولا تباح ذبائحهم، ولا يُصلى على من مات منهم ولا يدفن في مقابر المسلمين.

الأعياد: لهم أعياد كثيرة تدل على مجمل العقائد التي تشتمل عليها عقيدتهم ومن ذلك:

ـ عيد النَّيروز: في اليوم الرابع من أبريل، وهو أول أيام سنة الفرس.

ـ عيد الغدير، وعيد الفراش، وزيارة يوم عاشوراء في العاشر من المحرم ذكرى استشهاد الحسين في كربلاء.

ـ يوم المباهلة أو يوم الكساء: في التاسع من ربيع الأول ذكرى دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لنصارى نجران للمباهلة.

ـ عيد الأضحى: ويكون لديهم في اليوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة.

ـ يحتفلون بأعياد النصارى كعيد الغطاس، وعيد العنصرة، وعيد القديسة بربارة، وعيد الميلاد، وعيد الصليب الذي يتخذونه تاريخاً لبدء الزراعة وقطف الثمار وبداية المعاملات التجارية وعقود الإيجار والاستئجار.

ـ يحتفلون بيوم (دلام) وهو اليوم التاسع من ربيع الأول ويقصدون به مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فرحاً بمقتله وشماتة به.

الجذور الفكرية والعقائدية:

استمدوا معتقداتهم من الوثنية القديمة، وقدسوا الكواكب والنجوم وجعلوها مسكناً للإمام علي.

تأثروا بالأفلاطونية الحديثة، ونقلوا عنهم نظرية الفيض النوراني على الأشياء.

بنوا معتقداتهم على مذاهب الفلاسفة المجوس.

أخذوا عن النصرانية، ونقلوا عن الغنوصية النصرانية، وتمسكوا بما لديهم من التثليث والقداسات وإباحة الخمور.

نقلوا فكرة التناسخ والحلول عن المعتقدات الهندية والآسيوية الشرقية.

هم من غلاة الشيعة مما جعل فكرهم يتسم بكثير من المعتقدات الشيعية وبالذات تلك المعتقدات التي قالت بها الرافضة بعامة والسبئية (جماعة عبد الله بن سبأ اليهودي) بخاصة.

الانتشار ومواقع النفوذ:

يستوطن النصيريون منطقة جبال النصيريين في اللاذقية، ولقد انتشروا مؤخراً في المدن السورية المجاورة لهم.

يوجد عدد كبير منهم أيضاً في غربي الأناضول ويعرفون باسم (التختجية والحطابون) فيما يطلق عليهم شرقي الأناضول اسم (القزل باشيه).

ويعرفون في أجزاء أخرى من تركيا وألبانيا باسم (البكتاشية).

هناك عدد منهم في فارس وتركستان ويعرفون باسم (العلي إلهية).

وعدد منهم يعيشون في لبنان وفلسطين.

ويتضح مما سبق:

أن النصيرية فرقة باطنية ظهرت في القرن الثالث للهجرة، وهي فرقة غالية، خلعت ربقة الإسلام، وطرحت معانيه، ولم تستبق لنفسها منه سوى الاسم، ويعتبرهم أهل السنة خارجين عن الإسلام، ولا يصح أن يعاملوا معاملة المسلمين، بسبب أفكارهم الغالية وآرائهم المتطرفة ومن ذلك آراؤهم التي تهدم أركان الإسلام فهم لا يصلون الجمعة ولا يتمسكون بالطهارة، ولهم قداسات شبيهة بقداسات النصارى ولا يعترفون بالحج أو الزكاة الشرعية المعروفة في الإسلام.

العدد 14 - 07 شعبان 1427 الموافق لـ 01 شتنبر 2006

غرف الدردشة

بقلم: الأستاذ علي نجم

مكنت الانترنيت من تجاوز الحواجز الاجتماعية والجغرافية، وأصبحت من أهم وسائل التواصل وانتقال المعارف، وتعتبر غرف الدردشة أو المحادثة الأكثر تداولا في استعمال الانترنيت، لأنها تمكن من المحادثة والمشاهدة بكل حرية وبعيدا عن كل القيود، لكن هذه الغرف تحولت من مجرد المحادثة والحوار وتبادل المعارف إلى ساحات للقاء بين الجنسين وتبادل الكلام الماجن والوعود الكاذبة، ويتطور الأمر غالبا إلى اللقاء وما يجر معه من ويلات.

فما هي سلبيات ومحاذير استعمال غرف الدردشة؟

وما السبيل إلى ترشيد استعمالها؟

وهل يمكن أن تصير وسيلة للدعوة إلى الله؟

محاذير استعمال غرف الدردشة

نحن لسنا ضد الانترنيت و لا نريد الترهيب من استعماله بل نقر أنه من أهم وسائل جلب المعرفة والدعوة إلى الله في عصرنا الحالي، ولكننا في المقابل ندعو إلى رقابة صارمة في استعماله تخول الحصول على الفوائد والثمار المرجوة، ومن ذلك الدخول إلى غرف الدردشة، فلا نقول أنها محرمة في ذاتها وإنما نؤكد على وجوب خضوعها للضوابط الشرعية والأدبيات الأخلاقية، فهي تكون نعمة عندما توفر اتصالاً بالعالم الخارجي وتحث الشباب على تبادل الثقافات والمعلومات، لكن قد تعتريها تجاوزات كثيرة عندما تصبح وسيطا بين الجنسين وسبيلا إلى الإثارة وتبادل الكلام المهيج.

فالإنسان بطبعه يخاف الفضيحة ويحرص على سمعته لكن كونه أمام جهاز ولا يعرفه أحد ولا يطلع عليه إلا الله، يحرضه على تذليل جميع الحواجز والكشف عن خروقات النفس الأمارة بالسوء، فيتمكن الشيطان من المتحادثين ويقودهما إلى كلام ما كانا ليبوحا به لو تقابلا مباشرة، فيعتادان ويتجرآن على بعضهما ثم ينتقلان إلى المكالمات الهاتفية وبعدها المقابلات الشخصية، والنتيجة لا تخفى عليكم.

كما أن هذه الغرف أصبحت مدعاة لضياع الأوقات والأعمال والحقوق، لأن الإقبال عليها بشكل مستمر يؤدي إلى الإدمان، وقد عرضت بعض القنوات استطلاعاً حول الموضوع وأكدت أن متوسط ما يقضيه الشخص في هذه المقاهي هو ما بين خمس وست ساعات يومياً، أي بما مجموعه 150 ساعة شهرياً تقريبا، بينما مجموع ما يقضيه من ساعات في المدرسة شهرياً هو 120 ساعة، وغالبية من تم إجراء الاستفتاء معهم يقضي الوقت في الدردشة، كما أكد ذلك استطلاع أجرته إحدى الصحف، و اتضح من خلاله أن 80٪ من مرتادي مقاهي الإنترنيت يقضون الوقت في غرف الدردشة والنسبة المتبقية 20٪ موزعة على تصفح المواقع السياسية والاقتصادية والرياضية والدينية.

والغريب أن معظم استعمالات هذه الغرف في الدول الإباحية هي في حل المشاكل الاجتماعية وتبادل المعلومات الثقافية بينما غالب استخدامها في الدول العربية يكون لإثارة الغرائز والنصب والاحتيال.

وفيما يلي بعض مظاهر ونتائج الاستعمال الخاطئ لغرف المحادثة:

- ضياع الأوقات و قلة الحياء والاختلاط بين الجنسين.
- سوء الخلق والغلظة والفظاظة وسرعة الغضب حتى

قالت "باميلا لورانس" وهي مسلمة أمريكية: "أصاب بخيبة أمل في كل مرة أدخل فيها إلى غرف الدردشة العربية، حيث ألاحظ معاملة العرب السيئة للأشخاص الذين لا ينتمون لثقافتهم ودينهم، فمن الأفضل أن نرشد الذين يخالفوننا بدلا من أن نهينهم"، وقد سمعت بأذني الكلام النابي الذي يدور بين بعض الشباب في غرف الدردشة فلما سألت المسؤول عن مقهى الانترنيت عما يجري، قال لي بأن هناك غرف خاصة بالسب والشتم يرتادها هؤلاء الحمقى من المغاربة والعرب ليبرزوا عضلاتهم في السخرية والتنقيص من بعضهم البعض والتنابز بالألقاب.

- الغيبة وسماع كلام المتخاطبين من طرف الآخرين، وإفشاء الأسرار الخاصة، وأعجب من بعض الفتيات التي تتكلم بملء فيها مع شباب من الخليج بكلام نخجل من سماعه، ولا داعي للتعليق عن مثل هذه المهزلة.
- افتتان الجنسين ببعضهما البعض.
- غرف المحادثة حقل للخيانة الزوجية وتدمير الأسر.



- ضياع أوقات الصلوات والواجبات الدينية والدنيوية.

عندما تتحول غرف الدردشة الى فيروس خطير

تقول الدكتورة عزة كريم أستاذ علم الاجتماع: "إن غرف الدردشة والإنترنت عموما هي المكان الذي يستطيع فيه الإنسان العربي أن يتحدث فيها مع نفسه صراحة، ليقول ما لا يستطيع قوله مع الآخرين"، وترى الدكتورة عزة أن كثيرا من العرب لديهم نوع من الإحباط والكبت الجنسي الذي يمكن تفريغه عبر الإنترنت، كما أن بعض العرب يشعرون بالتخوف والتشكك إزاء بعضهم وهم لا يستطيعون التعبير عن ذلك على أرضية الواقع فيظهرونه عبر الإنترنتز.

وكم من زوجة اكتشفت زوجها أو زوج اكتشف زوجته في علاقات غرامية غير شرعية من خلال الإنترنت، حتى تداول المختصون مصطلح أرامل الإنترنت على الزوجات اللاتي فقدن أزواجهن بسبب الشبكة العنكبوتية.

ومما يثير الضحك، ظاهرة تقليد الأصوات النسائية بقصد الإيقاع بضحايا من ضعاف القلوب، فيقلد بعض المحتالين صوت امرأة ويدخل في حوارات ماجنة مع الرجل الضحية الذي يضحي بوقته ويرسل تعبئة الهاتف للمحتال بل وحتى النقود إلى رصيده أحيانا، ليخبره في الأخير بالخديعة والحقيقة المرة عندما يطالب باللقاء، وهذا

جزاء من يسبح في الماء العكر، فقد أصبحت هذه الغرف مصدرا للرزق عند بعض الثعالب الذين يستغلون ضحايا أغبياء يصرفون أموالهم على صوت نسائي لم يتيقنوا من هوية صاحبه.

ولم يسلم الأطفال من أذى غرف المحادثة، حيث كشفت إحصائية بريطانية أن ستة عشر طفلا كانوا ضحايا للاعتداء من طرف أشخاص تحدثوا معهم عبر الشبكة العنكبوتية، وقالت "راشيل أوكونيل": "العديد من المنظمات تسعى لأن توفر للأطفال استخداما آمنا لشبكة الانترنت، وقد تلاحقت الدراسات في الاهتمام بالأطفال والمراهقين الذين يرتادون غرف الدردشة، فالعديد منهم يتعرضون للمخاطر والطريقة المثلى في تغيير سلوك هؤلاء الأطفال ليست منعهم من استخدام هذه الغرف وهو ما يأتي غالبا بنتائج معكوسة، وإنما الحل هو مشاركتهم فيما يقومون به".

فيجب أن تكون هذه المحادثات تحت رقابة المسؤولين والآباء وتحت سيطرتهم لحماية الشباب والفتيات من أخطاره، فإذا كان المسؤول عن الغرفة يتتبع الرسائل والمحادثات فإنه يحد من المشاكل ويجبر الأعضاء على الالتزام بالضوابط، ويقول محمد كمال المسؤول عن غرف الدردشة في موقع أرابيا أون لاين: "إن الرقابة موجودة دائما وإنها تمنع عدة أمور مثل تبادل السباب والمس بالذات الإلهية".

الدعوة عبر غرف الدردشة

نظرا لسهولة الاتصال عبر الانترنت، والتمكن من نشر الأفكار في مختلف مناطق العالم بمجرد ضغطة زر، فإن هذا الاكتشاف يمكن أن يكون وسيلة لنشر الدعوة إلى الله، وقد بدأنا نسمع أن العديد من الشباب الغربي دخلوا في الدين الحق عن طريق الانترنت، لكن يجب التنبيه على ضوابط يلزم الداعية عبر الإنترنت التحلي بها، والحذر من الوقوع في محاذير قد توقعه في الإفساد من حيث أراد الإصلاح، أو تجعله غريقا بعدما كان يقوم بدور معلم السباحة.

ومن الضوابط والمحاذير التي نثيرها في هذا الباب:

- تسلح الداعية بسلاح العلم الشرعي، على الأقل فيما يدعو إليه.
- إتقانه للغة التي يدعو بها وخصوصا للمفردات الشرعية.
- تحليه بالأخلاق الإسلامية وبأسلوب الدعوة النبوية بعيدا عن التعصب والتنقيص من المخاطبين.
- الحذر من الدخول في محادثات مع الجنس الآخر وأن لا يكون ذلك إلا للضرورة وبالضوابط الشرعية.
- أن يعترف بجهله إذا لم يستطع الإجابة على سؤال ما وأن يرجئ ذلك إلى وقت لاحق حتى يسأل من هو أعلم منه، لأن هناك من المحاورين من يكون له إلمام بالدين الإسلامي ويبحث عن العثرات .
- ألا تجره حلاوة الحديث إلى ترك الصلوات جماعة أو التفريط في التزاماته الدنيوية.

إن غرف المحادثة وسيلة جيدة لتبادل المعلومات ونشر الدعوة إلى الله، لكن ذلك لا يتم إلا إذا التزم المتحاورون بالضوابط الشرعية التي تحميهم من مغبة الوقوع في براثن الفسق والرذيلة، ولذلك وجب علينا إنقاذ هذه الأمة من الشباب الضائع الذين أصبحوا ضحية الاستعمال السيئ لهذه الوسيلة، ويكون ذلك بنصحهم وتوعيتهم عبر المدارس ووسائل الإعلام .

العدد 14 - 07 شعبان 1427 الموافق لـ 01 شتنبر 2006

من آثار حازم النحوية: القصيدة الميمية

بقلم: عبد المجيد بن محمد آيت عبو

فقد اتَّخَذ النحاةُ الشِّعرَ والرَّجَزَ -خاصةً- وسيلةً لاختصار القواعد النحوية لتقريبها بين يدي الطُّلَّاب، وتسهيل حفظها. ومن بين تلك المنظومات التي ظَلَّت في طَيِّ النسيان: منظومةُ الأديب حَازم القَرْطَاجَنِّي -رحمه الله-.

نبذة عن حياة حازم:

هو حازم بن محمّد بن حسن بن محمّد بن خلف بن حازم الأنصاري القرطاجي النحوي أبو الحسن شيخ البلاغة والأدب، قال أبو حيان: كان أَوْحَد زمانه في النظم والنثر والنحو واللغة والعروض وعلم البيان.

روى عن جماعة يُقَاربون الأَلْف، وروى عنه أبو حيان الأندلسي وابن رُشَيد الفهري وجماعة، وذَكَرَه ابن رُشَيد في رحلته فقال: حَبر البلغاء وبحر الأدباء ذو اختيارات فائقة واختراعات رائقة، لا نعلم أحدا مِمَّن لقيناه جَمَع من علم اللسان ما جمع، ولا أَحْكَم من معَاقِد علم البيان ما أَحْكَم من منقول ومبتدع، وأما البلاغة فهو بحرُها العذبُ والمتفردُ بحَمل راياتِها، يجمع إلى ذلك جودةَ التصنيف وبراعةَ الخط، ويضربُ بسهم في العقليات، والدِّرَايةُ أغلبُ عليه من الرواية.

وُلِد سنة ثمانٍ وستمائة بقرطاجَنَّة الأندلس، وهي من سواحل كُورَةِ تَدْمِير في الجانب الشرقي من الأندلس، ومات ليلة السبت الرابع والعشرين من رمضان سنة أربعٍ وثمانينَ وستمائة.

قال المِقَّرِيّ في أزهار الرياض: "وهو خَاتِمة شعراء الأندلس الفحول، مع تقدمه في معرفة لسان العرب وأخبارها، ونزل إفريقية بعد خروجه من بلده فَطَار بها صِيته، وعَمَّرَ إلى أنْ مات بتونس".

ومن تصانيفه: سراج البلغاء في البلاغة، وكتاب في القوافي، والقصيدة الميمية في النحو، وله مقصورة مشهورة في مدح الأمير أبي عبد الله المستنصر.

آثار حازم النحوية:

1. رسالة في الرد على كتاب: المقرِّب في النحو لابن عُصفور كما أشار إلى ذلك صاحب نفح الطيب.

2. القصيدة الميمية في النحو، وقد نظمها من بحر البسيط على خلاف باقي المنظومات المشتهرة في علم النحو فإن معظمها من بحر الرَّجَز، وهي منظومة حُلْوة الأَلفاظ بديعة المعاني رَصِينَةُ البناء سَهْلَة المَأخَذ، بعيدةٌ عَن التَّقَعُّر والتَّعْقيد.

وقد قام بطبعها الأستاذ عثمان العكَّاك سنة 1966م، وألحقها بآخر ديوان حازم، ومجموع ما انتهى إليه من أبياتها217 : بيتا، ثم جاء بعده الدكتور محمد الحبيب بلخوجة فأعاد تحقيق القصيدة على نسخة خطية فاستدرك على الطبعة السابقة بيتين، فصار مجموع أبيات الميمية219 : بيتا.

منزلة الميمية عند علماء النحو:

هذه القصيدة وإن ظلت مغمورة لم يُكتب لها الذيوع والانتشار كما كتب لأخواتها؛ إلا أنها نالت إعجاب جماعة من اللغويين والنحاة، وتلقفوها بعين القبول والرضا، واقتبسوا منها ما أودعوه في مصنفاتهم.

ويقال: إن أول من أشار إليها هو ابن هشام الأنصاري في كتابه مغني اللبيب، فقد أورد منها أبياتا وهو في معرض الحديث عن "إذ" الفجائية؛ قال -رحمه الله-: "ولقد أحسن الإمام الأديب أبو الحسن حازمُ بن محمد الأنصاري القرطاجَنّي إذ قال في منظومته في النحو حاكياً هذه الواقعةَ والمسألةَ:

والعُربُ قدْ تَحْذِفُ الأَخْبَارَ بَعْدَ إِذَا
إِذَا عَنَوا فَجْأَةَ الأَمْرِ الَّذِي دَهَمَا

إلى أن ذكر منها أربعة عشر بيتا".

قال السيوطي في البغية: "و[له] قصيدة في النحو على رَوِيِّ الميم، ذكر منها ابن هشام في المغني أبياتا في المسألة الزنبورية".

منهج حازمٍ في هذه القصيدة:

قد صَدَّرَ حازم منظومته هذه بحمد الله تعالى والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم على غرار ما يصنعه أصحاب المنظومات.

ثم انتقل إلى مدح أمير تونس آنذاك أبي عبد الله المستنصر، فأشاد بالنعم التي أغدقها على قُصَّاد تونس.

ثم تحدث عن صناعة النحو وتعرض لمباحثه المختلفة؛ فذكر حد الكلام وتحدث عن ماهية النحو وعوامل الرفع والنصب والخفض، ثم بين رافعات وناصبات وخافضات الأسماء، ثم خلص من الأسماء إلى الأفعال فتحدث عن أحكامها رفعا ونصبا وجزما، ثم ذكر الجملة الاسمية ونواسخها، والمواطن التي يسوغ فيها الابتداء بالنكرة، ثم ختم قصيدته بذكر المسألة الزنبورية التي وقع فيها النزاع بين سيبويه والكسائي.

وكثيرا ما يرجح مذهب البصريين ويَحذو حذوهم، وله اختيارات كوفية نادرة.

القيمة العلمية للقصيدة:

هذه القصيدة لها قيمة تعليمية كبرى، فهي وإن لم تبلغ الألفَ بيتٍ كما هو الشأن بالنسبة لألفية ابن مُعْط وابن مالكٍ والسيوطي وغيرهم، إلا أنها استطاعت أن تكون لبنةً في صرح علم النحو الذي يعد مفتاح سائر العلوم، وإسهَاماً في إثراء وإغناء الدراسات النحوية.

وقد امتازت هذه القصيدة بمحاسن منها:

1. أنها جاءت مختصرةً مُقْتَصِرَةً على أكثر الأبواب النحوية استعمالا، وكَأَنَّ حازماً أراد أن يجعل منها مرجعا يتدارسه المتعلمون من رواد اللغة العربية والراغبون في التأدب بآدابها.

2. أنها اقتصرت في الغالب على الأشهر من الآراء، ولم تتشعب في إيراد الخلافات النحوية إلا في القليل النادر.

3. أن حازما أضفى عليها مُسْحة أدبية أكسَبَتْهَا جمالا وبَهاء، فشَاعِرِيَّتُه تَجلت واضحة بين جنباتِها، فلا يكاد يخلو بيت من أبياتها من نفحة الأديب المرهف الحس الذي تسعفه قريحته على أن يُذِيب قواعد النحو الجافة في قوالبَ شِعْرِيَّةٍ أَخَّاذَة.

فقد خَرجَ حازم عن نهج سابقيه من أصحاب المنظومات، فسعى إلى ابتكار نهج جديد في فن النظم التعليمي يجمع بين القاعدة النحوية وبين الأسلوب الأدبي البديع الذي تلج دُرَرُ كَلِمِه أَصْدَافَ الآذان من غير استئذان، بخلاف أساليب المَنظومات المتقدمة التي يغلب على أكثرها جفاف الألفاظ وتعقيد المعاني.

فهو مثلا حين تناول مبحث: إِنّ وأخواتِها قرر كون مشابهتِها للأفعال في أسلوب شعري بديع فقال:

فَإِنَّ أَنَّ لَهَا أُخْتٌ مُذِ ارْتَضَعَا
ثَدْيَ التَّشَبُّهِ بِالأَفْعَالِ مَا فُطِمَا

ومَثَّلَ للأفعال المتعدية بقوله:

بَابُ أَعْطَى كَسَا مِنْهُ أَتَى وَسَقَا
كَمَا تَقُولُ: "سَقَاكَ اللهُ صَوْبَ سَمَا"
وَمِنْهُ أَوْلَى، وَآتَى مِثْلُ قَوْلِهِمُ:
"أَوْلاَكَ رَبِّي نَعِيمَ العَيْشِ وَالنِّعَمَا"
كَمَا تَقُولُ لِمَنْ تَهْوَى النَّعِيمَ لَهُ:
"أَنَالَكَ النِّعَمَ الوَهَّابُ وَالنَّعَمَا"

وقال في باب كان وأخواتِها:

مِثْلِ كَانَ، وَأَضْحَى، ثُمَّ أَصْبَحَ، أَوْ
أَمْسَى، كَقَوْلِكَ: "أَضْحَى الزَّهْرُ مُبْتَسِمَا"
وَبَاتَ، أَوْ صَارَ، أَوْ ظَلَّ، الثَّلاَثَةَ صِلْ
بهَا؛ كَقَوْلِكَ: "ظَلَّ الغَيْمُ مُرْتَكِمَا"
وَعُدَّ مَا دَامَ مِنْهَا، نَحْوُ قَوْلِكَ:"لاَ
سِيرُ مَا دَامَ حَرُّ القَيْظِ مُحْتَدِمَا"
وَكُلُّ فِعْلٍ غَدَا إِيجَابُهُ سلبا،
وَالنَّفْيُ فِيهِ وُجُوبٌ بَعْدَ لَيْسَ وَمَا
تَقُولُ: "مَا زِلْتَ مِفْضَالاً، وَمَا بَرِحَتْ
مِنْكَ السَّجَايَا تُوَالِي الْجُودَ وَالكَرَمَا"
وَ "لست تنْفَكُّ مِحْسَاناً وَمَا فَتِئَتْ
يُمْنَاكَ آسِيَةً بِالْجُودِ مَنْ كُلِمَا"

وقال في باب الأسماء الخمسة:

تَقُولُ: "عَمْرٌو أَبُوهُ أَوْ أَخُوهُ أَتَى
فَافْتَرَّ فُوهُ مِنَ السَّرَّاءِ وَابْتَسَمَا
وَخَوْلَةٌ هَامَ ذُو مَالٍ بِهَا وَصَبا
وَجْداً فَغَارَ حَمُوهَا مِنْهُ وَاحْتَشَمَا"

وقال أيضا:

وَجُمْلَةُ الفِعْلِ فِي الأَخْبَارِ وَاقِعَةٌ
تَقُولُ: "صَوْبُ الْحَيَا مِنْ جُودِكَ احْتَشَمَا"
وَجُمْلَةُ الشَّرْطِ مِمَّا يُخْبِرُونَ بِهِ
تَقُولُ: "زَيْدٌ مَتَى مَا يَقْتَدِرْ رَحِمَا"

وقد قام الأستاذ بنيونس الزاكي بضبط أبيات هذه المنظومة وشَرْحِهَا شَرْحاً وَافياً في كتاب أسماه: "إتحاف الحازم بشرح منظومة حازم"، طبع بدار طيبة طَبعَتَه الأولى سنة 1414هـ.

هذا ما تيسر جمعه في هذه المسألة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

المصادر والمراجع:

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي .(1/491-492)
- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض للمَقَّرِي .(3/171-173)
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني (ص:37).
- نفح الطيب عن غصن الأندلس الرطيب للمقري (2/208-209).
- مغني اللبيب عن كتب اللغة والأعاريب (ص:123).
- ديوان حازم القرطاجني، تحقيق عثمان العكَّاك ص:(123-132).
- إتحاف الحازم بشرح منظومة حازم، شرح: بنيونس الزاكي ص:(17-40).

هارون الرشيد الخليفة المفترى عليه

إعداد
إبراهيم الوزاني

من عظماء أمتنا الذين طأطأ له الروم رؤوسهم، وأحنوا هاماتهم رهبة منه، ذلكم هو الخليفة المجاهد هارون الرشيد، هو أكثر من تعرض تاريخه للتشويه والتزوير من خلفاء الإسلام، مع أنه من أكثر خلفاء الدولة العباسية جهادا وغزوا واهتماما بالعلم والعلماء، وبالرغم من هذا أشاعوا عنه الأكاذيب وأنه لاهم له سوى الجواري والخمر والسكر، ونسجوا في ذلك القصص الخرافية ومن هنا كان إنصاف هذا الخليفة واجب على كل مؤرخ مسلم.

ومن المؤرخين الذين أنصفوا الرشيد أحمد بن خلكان الذي قال عنه في كتابه وفيات الأعيان: "كان من أنبل الخلفاء وأحشم الملوك ذا حج وجهاد وغزو وشجاعة ورأي".

وكتب التاريخ مليئة بمواقف رائعة للرشيد في نصرة الحق وحب النصيحة وتقريب العلماء لا ينكرها إلا جاحد أو مزور، ويكفيه أنه عرف بالخليفة الذي يحج عاما ويغزو عاما.

نسبه ومولده:

هو أبو جعفر هارون بن المهدي محمد بن المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي العباسي، كان مولده بالرّيّ حين كان أبوه أميرا عليها وعلى خراسان في سنة ثمان وأربعين ومائة، وأمه تسمى الخيزران وهي أم الهادي وفيها يقول مروان ابن أبي حفصة:

يا خيزران هَناكِ ثم هَناكِ *** أمسى يسوس العالمين ابناكِ

أغزاه أبوه بلاد الروم وهو حدث في خلافته.

توليه الخلافة

ولي الخلافة بعهد معقود له بعد الهادي من أبيهما المهدي في ليلة السبت السادس عشر من ربيع الأول سنة سبعين ومائة بعد الهادي، قال الصولي: "هذه الليلة ولد له فيها عبد الله المأمون ولم يكن في سائر الزمان ليلة مات فيها خليفة وقام خليفة وولد خليفة إلا هذه الليلة وكان يكنى أبا موسى فتكنى بأبي جعفر".

وكان ذا فصاحة وعلم وبصر بأعباء الخلافة وله نظر جيد في الأدب والفقه، قيل إنه كان يصلي في خلافته في كل يوم مائة ركعة إلى أن مات لا يتركها إلا لعلة ويتصدق من صلب ماله كل يوم بألف درهم.

قال الثعالبي في "اللطائف": وكان يحب المديح ويجيز الشعراء ويقول الشعر.

أسند عن معاوية بن صالح عن أبيه قال: أول شعر قاله الرشيد، أنه حج سنة ولي الخلافة فدخل دارا فإذا في صدر بيت منها بيت شعر قد كتب على حائط:

ألا أمير المؤمنين أما ترى *** فديتك هجران الحبيب كبيرا

فدعا بدواة وكتب تحته بخطه:

بلى والهدايا المشعرات ومـــــــا

مشى بمكة مرفوع الأظل حسيرا

حبه للعلماء:

وكان الرشيد يحب العلماء ويعظم حرمات الدين ويبغض الجدال والكلام، وقال القاضي الفاضل في بعض رسائله: "ما أعلم أن لملك رحلة قط في طلب العلم إلا الرشيد، فإنه رحل بولديه الأمين والمأمون لسماع الموطأ على مالك رحمه الله".

ولما بلغه موت عبد الله ابن المبارك حزن عليه وجلس للعزاء فعزاه الأكابر.

قال أبو معاوية الضرير: "ما ذكرت النبي صلى الله عليه وسلم بين يدي الرشيد" إلا قال: "صلى الله على سيدي" ورويت له حديثه "وددت أني أقاتل في سبيل الله فأقتل ثم أحيى ثم أقتل" فبكى حتى انتحب.

وعن أبي معاوية الضرير قال: صَبَّ على يدي بعد الأكل شخصٌ لا أعرفه، فقال الرشيد: تدري من يصب عليك قلت: لا، قال: أنا إجلالا للعلم.

وكان العلماء يبادلونه التقدير، روي عن الفضيل بن عياض أنه قال: ما من نفس تموت أشد علي موتا من أمير المؤمنين هارون، ولوددت أن الله زاد من عمري في عمره، قال فكبر ذلك علينا فلما مات هارون وظهرت الفتن، وكان من المأمون ما حمل الناس على القول بخلق القرآن، قلنا: الشيخ كان أعلم بما تكلم.

بكاؤه عند سماع الموعظة:

قال منصور بن عمار: ما رأيت أغزر دمعا عند الذكر من ثلاثة الفضيل بن عياض والرشيد وآخر.

روي أن ابن السماك دخل على الرشيد يوما فاستسقى فأتي بكوز فلما أخذه قال: على رسلك يا أمير المؤمنين لو منعت هذه الشربة بكم كنت تشتريها، قال: بنصف ملكي، قال: اشرب هنأك الله تعالى فلما شربها، قال: أسألك لو منعت خروجها من بدنك بماذا كنت تشتري خروجها، قال: بجميع ملكي، قال: إن ملكا قيمته شربة ماء وبوله لجدير أن لا ينافس فيه، فبكى هارون الرشيد بكاء شديدا.

> كان من أنبل الخلفاء وأحشم الملوك ذا حج وجهاد وغزو وشجاعة ورأي

مواقف لا تنسى

في سنة سبع وثمانين ومائة جاء للرشيد كتاب من ملك الروم "نقفور" بنقض الهدنة التي كانت عقدت بين المسلمين وبين الملكة "ريني" ملكة الروم وصورة الكتاب: (من "نقفور" ملك الروم إلى هارون ملك العرب، أما بعد: فإن الملكة التي كانت قبلي أقامتك مقام الرخّ، وأقامت نفسها مقام البيذق، فحملت إليك من أموالها أحمالا، وذلك لضعف النساء وحمقهن، فإذا قرأت كتابي فاردد ما حصل قبلك من أموالها، وإلا فالسيف بيننا وبينك).

فلما قرأ الرشيد الكتاب استشاط غضبا حتى ما تمكن أحد أن ينظر إلى وجهه فضلاً أن يخاطبه، وتفرق جلساؤه من الخوف، واستعجم الرأي على الوزير، فدعا الرشيد بدواة وكتب على ظهر كتابه: "بسم الله الرحمن الرحيم من هارون أمير المؤمنين، إلى "نقفور" كلب الروم، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ما تراه لا ما تسمعه"، ثم سار ليومه فلم يزل حتى نزل مدينة هرقل، وكانت غزوة مشهورة وفتحا مبينا فطلب "نقفور" الموادعة والتزم بخراج يحمله كل سنة.

وأخرج ابن عساكر عن ابن علية قال أخذ هارون الرشيد زنديقا فأمر بضرب عنقه فقال له الزنديق: لم تضرب عنقي قال له أريح العباد منك، قال فأين أنت من ألف حديث وضعتها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلها ما فيها حرف نطق به قال فأين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري وعبد الله بن المبارك ينخلانها فيخرجانها حرفا حرفا.

من أعماله في الخلافة:

لقد سار الرشيد في إدارته على نهج قويم، وأعاد إلى الخلافة مجدها الذي كان لها على عهد جده المنصور، وكانت دولته من أحسن الدول وأكثرها وقارًا ورونقًا وأوسعها مملكة، وجاءه الخير من كل مكان، وما قسمت أعمال الدولة منذ انتقالها إلى بني العباس تقسيمها في زمن الرشيد، ولذلك كان للخليفة وقت ليحج، ووقت ليغزو، ووقت ليصطاف في الرقة، ويترك قصره في بغداد.

قال ابن الأثير: "كان الرشيد يطلب العمل بآثار المنصور إلا في بذل المال، فإنه لم يُر خليفة قبله كان أعطى منه للمال، وكان لا يضيع عنده إحسان محسن، ولا يؤخر عنده".

لقد كان الرشيد على أشد ما يكون من الانتباه لكل ما صغر وكبر من شئون الملك، ومن أشد الملوك بحثًا عن أسرار رعيته، وأكثرهم بها عناية، وأحزمهم فيها أمرًا؛ لذلك ما اشتعلت فتنة في أرجاء دولته إلا أطفأها، كما فعل بالوليد بن طريف الحروري (من رءوس الخوارج) سنة 178هـ/795 م".

وكانت سياسة الرشيد سياسة رشيدة في الداخل والخارج، غزا الروم حتى وصل إلى "إسكدار" من ضواحي "القسطنطينية" أيام ولايته العهد، وتغلغل مرة ثانية في بلادهم وغزاهم في خلافته بضع غزوات، وأخذ منهم "هرقلية"، وبعث إليه ملكهم بالجزية عن شعبه، واشترط عليه الرشيد ألا يعمر "هرقلية"، وأن يحمل إليه في السنة ثلاثمائة ألف دينار.

وسمي الرشيد "جبار بني العباس"؛ لأنه أخرج ابنه القاسم للغزو سنة 181هـ، فهزم الروم هزيمة منكرة، أدخلت الرعب في قلوبهم، فصالحه الروم على أن يرحل عنهم في مقابل أن يعيدوا إليه كل من أسروهم من المسلمين قبل ذلك، وكان هذا أول فداء في الإسلام بين المسلمين والروم.

وأرسل "علي بن عيسى بن ماهان" لغزو بلاد الترك، ففعل بهم مثلما فعل القاسم بالروم، وسبى عشرة آلاف، وأسر ملكيْن منهم.

وتوطدت الصِّلات بينه وبين "شارلمان" ملك فرنسا وجرمانيا وإيطاليا وتبادلا السفراء، والهدايا.

جاء في "فتوح البلدان" للبلاذري: "وقد رأينا من اجتهاد أمير المؤمنين هارون في الغزو، ونفاذ بصيرته في الجهاد أمرًا عظيمًا، وأقام من الصناعة (الأسطول) مالم يقم قبله، وقسم الأموال في الثغور والسواحل، وهزم الروم وقمعهم".

وفاة الرشيد:

مات الرشيد في الغزو بطوس من خراسان، ودفن بها في ثالث من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة وله خمس وأربعون سنة وصلى عليه ابنه الصالح.

قال الصولي: "خلف الرشيد مائة ألف ألف دينار ومن الأثاث والجواهر والورق والدواب ما قيمته ألف ألف دينار وخمسة وعشرون ألف دينار".

وقيل إن الرشيد رأى مناما أنه يموت بطوس فبكى، وقال: احفروا لي قبرا فحفر له، ثم حمل في قبة على جمل وسيق به حتى نظر إلى القبر، فقال: يا ابن آدم تصير إلى هذا، وأمر قوما فنزلوا فختموا فيه ختما وهو في محفة على شفير القبر.

ولما مات بويع لولده الأمين في العسكر وهو حينئذ ببغداد فأتاه الخبر فصلى الناس الجمعة وخطب ونعى الرشيد إلى الناس وبايعوه.

ولأبي الشيص يرثي الرشيد:

غربت في الشرق شمس*** فلها عيني تدمــــــع

مـا رأينا قط شمســـــا *** غربت من حيث تطلع

العدد 14 - 07 شعبان 1427 الموافق لـ 01 سبتمبر 2006

ها قد.. أقبل رمضان

أم أيـــوب

أقبل أفضل الشهور.. بعد انتظارنا شهور!

ترى! أما اشتاقت القلوب إلى مناجاة الغفور؟

أما ضاقت النفوس بالذنوب والفجور؟

أما تاقت إلى معالي الأمور؟

"وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ" الزمر 54

أم الترتيبات على أوجها حول روائح القدور؟

والبعض منا همّه ما لذَّ وطاب على موائد الفطور!

والبعض الآخر غفل عن بركة السحور!

"كُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ" الأعراف 31.

تعسا لعباد البطون! ففي الحديث: "ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه"

أما أثرت فيها السّمون؟

أم ضاعت عليهم سِنون؟

أمَّا عشاق المفسديون.. فإنهم في كل واد يهيمون، يقلبون ويقلبون!؟

هراء..! عما يبحثون!..؟

أما فسدت عليهم القلوب والعيون؟

تبا لمن ركب بحر الأوهام والظنون..

ولله نشكو هذا التمزق.. والتفرق في ملتقى الطرق.

كلنا يفرح بقدوم رمضان، لكن النوايا تكشف خبايا الأجنان.

شتان! شتان!

بين قلوب معلقة ببيوت الرحمن!

وقلوب علا عليها الران!..؟

ألا ترغب في أن تفرح فرحتان؟

فالتتنزه عن كل ما هو فان. يا فرحان!

اغتنم "شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ" البقرة 185.

وحصن الثغر عن فحش الكلام.. وآفات اللسان.. "إذا كان يوم صيام أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابّه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم".

وروض اللسان على التغني بالقرآن..، تحضى بمعية السفرة الكرام.. وتذق حلاوة الإيمان، لتجزى بها مغفرة ورضوان، مصداقا لقول النبي العدنان صلى الله عليه وسلم: "من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه".

وتبتهج يومئذ عند لقاء الدّيان، سالكا سبيل الريان..

وأخيرا.. تفز بولوج الجنان: "أدخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون" الأعراف: 41.

أيـن البـديـل؟

بقلم: عبد الله السقلي

إن الله عز وجل أنزل كتابه وأرسل رسوله فبلغ لعباده شرعا محكما، لأنه من لدن حكيم خبير، فيه التيسير والرفق بالخلق، فرضي الله لهذه الأمة ما عليها من هدى وخير، إذ قال جل جلاله: "ورضيت لكم الإسلام دينا"، فالإسلام خاتم الأديان، وهو صالح لكل زمان ومكان إلى أن ترفع شرائعه، فتقوم الساعة.

إن الشرائع ظاهرة والأحكام جلية إلا على من في قلبه مرض، فيتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة، فيجعل الحق باطلا، ويظهر الباطل حقا، أولئك المفتنون في دينهم الذين قال الله عز وجل في شأنهم: "الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً" الكهف 104، أما من تمسك بغرز العلماء الربانيين الذين رضوا ما رضي الله لهم، وهجروا أهواءهم، فهم إن أفتوا أفتوا بتقوى وبخوف من الله لأنهم يعلمون أنهم يوقعون فتاواهم عن الله، إنهم قوم رضوا الهدي النبوي سراجا، وفهم الصحابة خير الخلق بعد نبيهم منهاجا، أولئك ورثة النبي صلى الله عليه وسلم فخذ نصيبك مما ورثوه.

إن الخير لا يزال في هذه الأمة ما عبدت ربها، واتبعت نبيها، والكثير من الناس في هذا الزمان فيهم خير ويبحثون عن الحق والموفق من وفقه الله، إلا أن البعض قد تعلقت قلوبهم ببعض الشهوات، ونخرت فيها بعض الشبهات، فإذا بينت الحق لأحدهم جادل وما صدق أن الحق هو الذي معك، فإذا سدد الله خطاك فأظهرته له جليا بحججه ودلائله وفحمت شيطانه، سلم لك بما قلــت -إلا أن شبهة خبيثة أوحاها الشيطان الأكبر لأوليائه فنفثوها في تلك القلوب -، لكنه يقول: فأين البديل؟ إذا أردت أن نترك هذه الأعمال التي اعتادتها نفوسنا فما هو البديل عنها؟ فإذا بينت له البدائل الشرعية - لأن الشرع الحكيم قد كمُل - والتعليمات الربانية، استثقلتها نفسه لأنها تعلقت بتلك الشهوات والشبهات.

فإذا قلت له مثلا: لا تختلط والتزم الضوابط الشرعية في ذلك، قال: ما البديل إذن؟

وإذا قلت له: لا تسمع الأغاني فالمعازف محرمة، قال: ما البديل، فالروح تحتاج إلى غذاء!

وإذا قلت له: لا تسلك طريق التحزب والسياسة، فإنها ليست من الكياسة، قال: ما البديل إذن؟

إن الذي ينبغي أن يعلمه المسلم هو أن الإسلام جاء لينص على البديل الإسلامي في الكثير من الأمور، غير أن الضابط في قبول أي بديل هو أن يكون منضبطا بالشرع الحنيف، لأن الكثير من الناس يصوغون لأنفسهم ارتكاب مخالفات بحجة أين البديل؟ وينسون أو يتناسون أنهم عباد لله يجب عليهم اتباع أوامره واجتناب نواهيه، لأنه لا يأمر إلا بما فيه خير لهم، ولا ينهاهم إلا عن ما فيه شر لهم، ثم إن العبد ليس له الخيرة في أمر قد اختاره مولاه، قال الله عز وجل: "وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً" الأحزاب 36.

محاكمة التاريخ

عبد الله أبو مسلم

روى لي صديقي مرة قصة جعلتني أبكي من شدة الضحك، إنها قصة غبي أراد أن يحاكم التاريخ لا لشيء إلا أنه تاريخ أبيض ناصع لم يلطخ بدناسة الهوى، أو لأنه لم يرضع من ثدي الغرب لينتج لنا أدبا ساخرا بما يحمله من قاذورات تشتم رائحة العفن فيها من أول هبة ريح.

لن أطيل عليكم، هذه قصة هذا المتذاكي: لقد تخيل صاحبنا أنه عاد لزمن المعتصم ولأنه أكثر واقعية من المعتصم ومن التاريخ نفسه الذي حمل لنا قصة فتح عمورية راح يسرد لنا القصة (الحقيقية) كما تخيلها! لا كما رواها لنا التاريخ الفاسد.

إن صاحبنا استغرب من قيام حرب من أجل صرخة فتاة دوت في أذن المعتصم، وزاد من حيرته وأقلق مضجعه كيف استطاع هذا الجيش الذي خرج بدون استعداد كما يرى صاحبنا الانتصار على جحافل الروم، لا بل ودك أعتى حصونهم، إنه أمر لا يقبله عقل، ومسألة فيها نظر، فإما أن يكون التاريخ قد زيف لنا الحقيقة ووقف مع هذا الرجل المسلم العربي الشهم عندما أراد أن يعيد هيبة وجلال الإسلام المتمثل في المرأة المستغيثة، أو أن المعتصم قد خدع التاريخ بأسره لأنه أعد لهذه الحرب عدتها لكن كان ينقصه المبرر لها فاستخدم هذه الكذبة! التي تدغدغ مشاعر الغيرة وتثير حمية العربي، وخرج صاحبنا البطل بانتصار مدوي وفاتحة الفتوح!

نعم إن التاريخ شوه الحقيقة، لقد قال لنا التاريخ: أن الإسلام كان عزيزا وهذا مزعج، لقد افترى التاريخ، فلقد حكى أن العربي يثور إذا مست محارمه حتى لو كان في ثورته هلاكه!

إذا لابد أن نعيد قراءة التاريخ من جديد لنصوغ بعقولنا الحقيقة كاملة دون تزييف. لكن بعد أن تتوفر الشروط التالية:

1- لابد أن يكون الإسلام مصدر الضعف والتخلف.

2 - لابد أن يصمت المسلم مهما حصل له وأن يتحلى بأخلاق السلام.

3- أن لا يقال شعر فيه تمجيد للمسلمين.

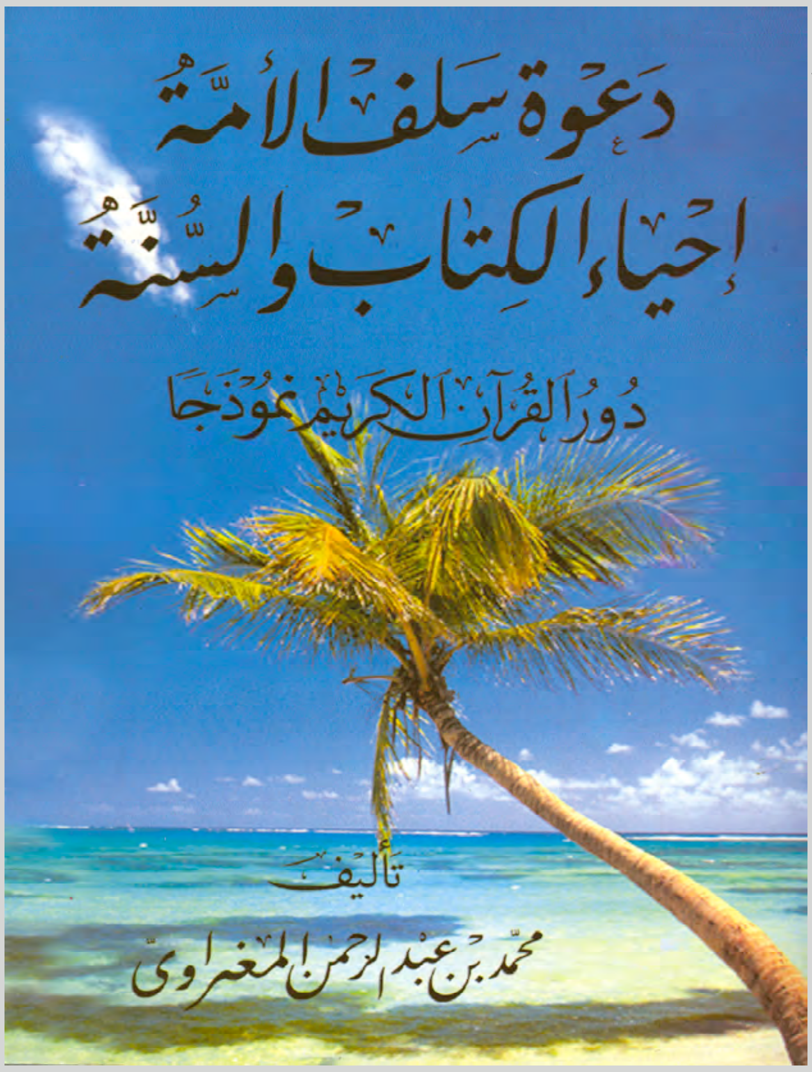
نعم استيقظ عقل صاحبنا لكن للأسف كانت هذه اليقظة بعد زراعة ناجحة لعقل غربي في جسد يقال أنه ينتمي لحضارتنا، وفكر يحمل راية الدفاع عن ثوابتنا التي لم يتعرض لها وإنما حاول أن ينزع عنها زيف الضلالة! ليقول لنا كفوا عن التغني بماضي جميل فلغتكم الشاعرية ستوقظ ذلك المارد الرهيب الذي أخشى أن يدمر كل ما بنته سيدتي!..

العدد 14 - 07 شعبان 1427 الموافق لـ 01 شتنبر 2006

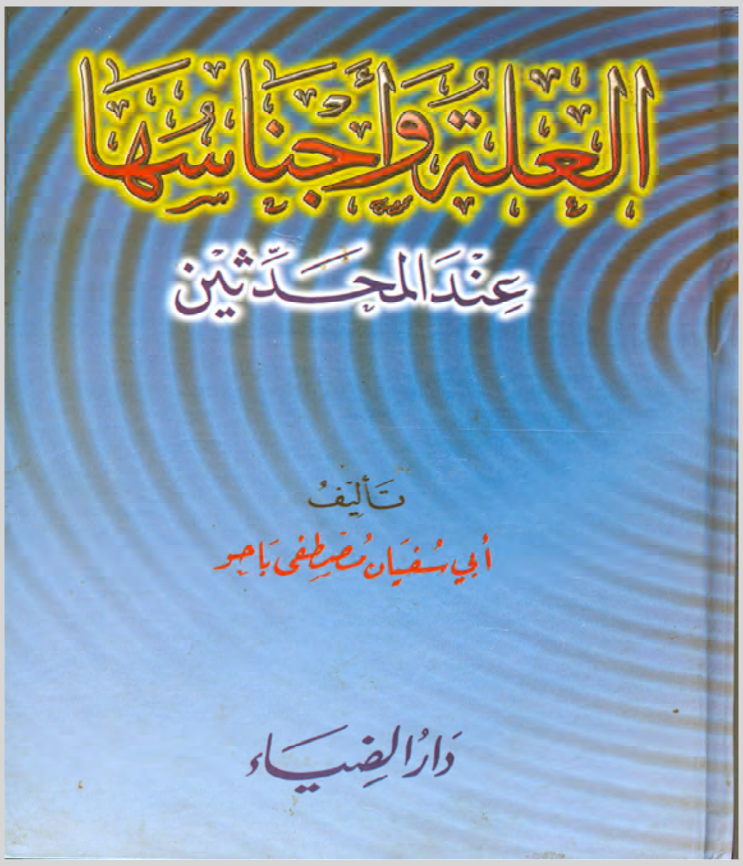
العدد 14 - 07 شعبان 1427 الموافق لـ 01 شتنبر 2006

دعوة سلف الأمة إحياء الكتاب والسنة

كتاب جديد من كتب الشيخ الدكتور المفيدة والماتعة، سلك فيه مسلك التأصيل والتمثيل، أما التأصيل فقد بين فيه الشيخ أن دعوة سلف الأمة حقيقة هي في إحياء الكتاب والسنة، لا في غيرها، وأما التمثيل فقد ضرب لذلك نموذجا حيا لايستطيع أن ينكره أحد من المخالفين، ألا وهو دور القرآن الكريم،قال الشيخ حفظه المولى: (فدعوة دور القرآن قامت على أسباب شرعية مأخوذة من كتاب الله ومن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، مقتدية بعمل الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وأصحابهم، وبقية علماء الإسلام رضي الله عن الجميع، وأن المصادر والأهداف التي تعتمد على تحقيقها هذه الدعوة هي مصادر أهل



الإسلام كلهم؛ منذ بداية الإسلام وزمن التأليف وإلى يومنا هذا، وهي أهداف النبوة والرسالة، وأهداف الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وسيتضح للقارئ إن شاء الله عند بيان الأهداف والمصادر؛ أن ما ترمى به هذه الدعوة من تبعية لشخص أو طائفة بعينها؛ هو أمر مفترى لا حقيقة له في الواقع العلمي والعملي، وأن هذه الدعوة تعتمد في مسيرتها الدعوية على كل ما اعتمد عليه أهل الإسلام في تاريخهم، إلا أنها تتميز بعدم التعصب لفئة أو مذهب أو شخص، وأن الكل ينبغي أن يخضع لميزان الدليل الثابت عن الله وعن الرسول صلى الله عليه وسلم، كما علمنا ذلك القرآن وصحيح السنة وكبار الأئمة).



العلة وأجناسها عند المحدثين كتاب من تأليف أبي سفيان مصطفى باحو ، قام فيه بجمع شتات هذا الموضوع وملء الفراغ الموجود، وأبرز أهمية علم العلل وشرفه على سائر العلوم، وبين دقة المحدثين وحاول إعطاء فكرة شاملة عن العلل عند المحدثين ...



صدر حديثا الجامع المختصر في بيان أحكام صيام رمضان وأعمال العيد.
يقول صاحبه أبو عبد الله حماد القباج: " وضحت فيه المشروع في العبادات التالية: صيام رمضان، والعمل في عيد الفطر والأضحى مع بيان فضل الاجتهاد في التعبد في رمضان وفي عشر ذي الحجة.
كل ذلك باختصار وتوضيح غير ممل.

العدد 14 - 07 شعبان 1427 الموافق لـ 01 سبتمبر 2006

تسلية وترويح

أيامي أربعة:

قال الخليل بن أحمد: أيامي أربعة:

يوم أخرج فألقى فيه من هو أعلم مني فأتعلم منه فذلك يوم غنيمتي.

ويوم أخرج فألقى من أنا أعلم منه فأعلمه فذلك يوم أجري.

ويوم أخرج فألقى من هو مثلي فأذاكره فذلك يوم درسي.

ويوم أخرج فألقى من هو دوني وهو يرى أنه فوقي فلا أكلمه وأجعله يوم راحتي.

جحا:

قال رجل لجحا: أتحسن الحساب بإصبعك.

قال نعم قال الرجل: خذ جريبين من حنطة فعقد الخنصر والبنصر.

فقال الرجل: وخذ جريبين شعيرا فعقد السبابة والإبهام وأقام الوسطى.

فقال الرجل لم أقمت الوسطى.

فقال جحا: لئلا تختلط الحنطة بالشعير.

جحا مريض:

مرض جحا مرضا خاف منه ولما سئل عمن يرثه

قال: لاوارث لي.

قيل له: وأمك.

أجاب: طلقها أبي من زمن.

حكمة بدوية:

قال الأصمعي: رأيت بدوية من أحسن الناس وجها ولها زوج قبيح فقلت لها ياهذه أترضين أن تكوني تحت هذا؟ فقالت: ياهذا لعله أحسن فيما بينه وبين ربه فجعلني ثوابه، وأسأت فيما بيني وبين ربي فجعله عذابي، أفلا أرضى بما رضي الله به.

ساعي البريد:

قال المدائني: جاء رجل من أشراف الناس إلى بغداد فأراد أن يكتب إلى أبيه كتابا يخبره بوصوله فلم يجد أحد يعرفه فعاد بالكتاب إلى أبيه وقال: كرهت أن يبطئ عليك خبري ولم أجد أحد يجئ بالكتاب فجئت أنا به وأعطاه إياه.

لتصبح الدار كلها لي:

وبنى بعض المغفلين نصف دار، وبنى رجل آخر النصف الآخر فقال المغفل يوما: قد عولت على بيع النصف الذي لي، وأشتري النصف الآخر لتكمل لي الدار كلها.

رأس الديـك:

قال دِعْبل: كنا عند سهل بن هارون في زيارة وهو معروف بالبخل، فلم نبرح حتى كاد يموت من الجوع فقال: يا غلام آتنا غداءنا، فأتي بقصعة فيها ديك مطبوخ وتحته ثريد قليل، فتأمل الديك فرآه بغير رأس، فقال لغلامه: وأين الرأس؟ فقال: رميته، فقال: والله إني لأكره من أن يُرمى برجله فكيف من يَرمي برأسه ويحك، أما علمت أن الرأس رئيس الأعضاء، ومنه يصيح الديك، ولولا صوته ما أريد، وفيه عُرْفُه الذي تباها به، وعينه التي يُضرب بها المثل في الصفاء، فيقال شراب كعين الديك، ولم نر عظما أهشّ تحت الأسنان من عظم رأسه، وهبك ظننت أني لا آكله، أما قلت عنده من يأكله؟ انظر في أي مكان رميته فأتتني به، فقال الغلام: لا أعرف أين رميته، فقال: ولكني أعرف أين رميته، قد رميته في بطنك، الله حسبك.

خصلتـان:

قيل لأشعب: لو أنّك حفظتَ الحديث حفْظَكَ هذه النوادر، لكان أولَى بك، قالَ: قد فعلتُ، قالوا له: فما حفظتَ من الحديث؟ قال: حدّثني نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من كان فيه خصلتان كُتب عند الله خالصاً مُخلصاً" قالوا: هذا حديث حسن فما هاتان الخصلتان؟ قال: نسي نافع واحدة، ونسيت أنا الأخرى!

حكم ومواعظ

- قال ابن القيم: مقام الدعوة إلى الله أشرف مقامات التعبد.
- قال الحسن: لولا العلماء لصار الناس كالبهائم.
- قال مالك بن دينار: إن العالم إذا لم يعمل بعلمه، زلت موعظته عن القلوب، كما تزل القطرة عن الصفا.
- قالوا: السخي من كان مسرورا ببذله، متبرعا بعطائه، لا يلتمس عرض دنيا فيحبط عمله، ولا طلب مكافأة فيسقط شكره، ولا يكون مثله فيما أعطى مثل الصائد الذي يلقي الحب للطائر، لا يريد نفعها ولكن نفع نفسه.
- قال جعفر الصادق: إن الله خلق خلقا من رحمته برحمته لرحمته، وهم الذين يقضون حوائج الناس، فمن استطاع منكم أن يكون منهم فليكن.
- ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم

والله يعلم أني لم أقل فنـــدا

إني لأغلق عيني ثم أفتحــــها

على كثير ولكن ما أرى أحدا

- لا تفتخر بهوان أبيك، فإن هوان أبيك ليس فخرا لك.
- من سب أباه وأمه، ينطفئ سراجه في خدمة الظلام.
- العين المستهزئة بأبيها، والمحتقرة إطاعة أمها، تتلفها غربان الوادي، وتأكلها فراخ النسر.
- الابن الجاهل غم لأبيه، ومرارة للتي ولدته.
- من تردى برداء لم يجده في أبيه

سوف يأتيه زمان يتمنى الموت فيه

- لسنا وإن أحسابنا كرمت يوما على الأحساب نتكل

نبني كما كانت أوائلنـــا تبني، ونفعل مثلما فعلوا

- إذا وضع الإحسان في الكريم أثمر خيرا، وإذا وضع في اللئيم أثمر شرا، كالغيث يقع في الأصداف فيثمر الدر، ويقع في فم الأفاعي فيثمر السم.
- أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم

فطالما استعبد الإنسان إحســـان

- حسن الخلق خير قرين، والأدب خير ميراث، والتقوى خير زاد.
- ومن يفعل المعروف في غير أهله

يكن حمده ذمـا علـيه وينـــدم

- مثل المتعلم غير المؤدب، كمثل شجرة عارية لا تورق ولا تثمر، قد انتصبت لناس في ملتقى الطرق، وتعترض الرائح، وتصد سبيل الغادي، فلا الناس بظلها يستظلون، ولا هم من شرها ناجون.
- المجتمع الذي لا أخلاق فيه، فهو أشبه بسفينة هائمة على وجهها، وليس من يهديها إلى الميناء.
- قال قس بن ساعدة يوصي ابنه: لا تشاور مشغولا، وإن كان حازما، ولا جائعا وإن كان فهما، ولا مذعورا وإن كان ناصحا، ولا مهموما وإن كان عاقلا، فالفهم يعقل العقل، فلا يتولد منه رأي، ولا تصدق به روية.
- إياك وصاحب السوء، فإنه كالسيف المسلول، يُعجب منظرُهُ، ويَقبُح أثره، ولا يَهونن عليك من قُبح منظره، ورَثّ لباسه، فإن الله تعالى إنما ينظر إلى القلوب، ويجازي بالأعمال.
- لا تُضيِّع مالك، وتُصلح مال غيرك، فإن مالك ما قدمت، ومال غيرك ما تركت.
- من يَرحم يُرحم، ومن يَصمت يَسلم، ومن يقل الخير يغنم، ومن يقل الباطل يأثم، ومن يملك لسانه لا يندم.
- وإذا أصيب القوم في أخلاقهم

فأقم عليهم مأتما وعـــــويلا

- الدنيا كالماء المالح كلما ازداد صاحبها شربا ازداد عطشا.
- صحة الجسم في قلة الطعام، وصحة النفس في قلة الآثام، وصحة القلب في قلة الاهتمام، وصحة اللسان في قلة الكلام.
- قال رجل يوصي آخر أراد سفرا:

آثر بعملك معادك، ولا تدع لشهوتك رشادك، وليكن عقلك وزيرك الذي يدعوك إلى الهدى، ويعصمك من الردى. ألجم هواك عن الفواحش، وأطلقه في المكارم، فإنك تبر بذلك سلفك وتشيد شرفك.

أضف إلى معلوماتـك

التــــوازن

إن من أصعب المهام التي تعترض الطفل في حياته بعد مهمة الولادة، هي عملية التوازن ليسير على سطح الأرض واقفا على قدميه، وكلنا يعرف كيف يبدأ الصغير أولا بتوازن رأسه، ثم بتوازن الجذع للجلوس، وبعدها ينتقل إلى التوازن في خطوة أولى، ثم المشي بصعوبة بالغة في البداية، ويصبح الأمر بعدها أسهل بكثير، إن التوازن إذا هو عملية مكتسبة تأتي بالتدريج لدى الجنس البشري نتيجة الممارسة اليومية، أما من الناحية العلمية الطبية فتبدو الأمور أكثر تعقيدا، لكي يصل الطفل إلى السير على قدميه تتشارك أعضاء كثيرة من جسمه لجعل هذا التوازن ممكنا.

من أي المواد مبني جسم الكائن الحي؟

الإجابة: جسم الكائن الحي كالبناء تماماً سواء كان نباتا أو حيواناً يتركب من وحدات حية تسمى الخلايا، وهناك الخلية النباتية والخلية الحيوانية.

تتكون الخلية من جدار خارجية يحفظ لها شكلا معيناً، وهذا الجدار من مادة "البروتوبلازم" في الخلية الحيوانية ومن مادة "السيلولوز" النباتي في الخلية النباتية و هي مادة غير حية، وبداخل الجدار مادة هلامية، نصف شفافة حية تشبه زلال البيض النيئ تملأ الخلية تعرف بـ"السيتوبلازم" وتعرف بـ"البلاستيدات" في الخلية النباتية، و أجسام أخرى في الخلية الحيوانية.

العدد 14 - 07 شعبان 1427 الموافق لـ 01 شتنبر 2006

اهتمام سلف الأمة باستغلال الوقت في مرضاة الله

ها هم سلفنا الصالح رضوان الله عليهم يعلموننا كيف يكون الحرص على الوقت:

ها هو عبد الله بن مسعود يقول: ما ندمت على شيء كندمي على يوم غربت شمسه نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي.

ولله در القائل: "إذا مر بي يوم ولم أقتبس هدى... ولم أستفد علما فما ذاك من عمري".

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه "ومتى أنام؟ إن نمت بالليل أضعت حق ربي، إن نمت بالنهار أضعت حق الرعية".

وهذا سعيد بن المسيب لم تفته تكبيرة الإحرام في المسجد أربعين سنة كما في كتب السير، ويقول سعيد رحمه الله "ما أذن المؤذن منذ عشرين سنة إلا وأنا في المسجد".

وهذا عامر بن عبد الله لما سمع المؤذن ينادي حي على الصلاة..حي على الفلاح..وهو مريض قال لأبنائه خذوني إلى المسجد فقالوا له أنت مريض وقد عذرك الله، فقال أسمع حي على الصلاة حي على الفلاح ولا أجيب، والله لتأخذوني إلى المسجد، فحملوه إلى المسجد فلما كان في أثناء الصلاة قبض الله روحه.

وهذا محمد بن المنكدر يقول لم يبق من لذات الدنيا إلا ثلاث: قيام الليل ومصاحبة الأخيار والصلاة في الجماعة.

وكان الحسن البصري يقول: "ما من يوم ينشق فجره إلا وهو ينادي بلسان الحال يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد، فاغتنمي فإني لا أعود إلى يوم القيامة".

قال ابن القيم رحمه الله: كل نَفَس أو كل عرَق سيخرج في الدنيا في غير طاعة الله أو فائدة في الحياة، سيخرج يوم القيامة حسرة وندامة.

ويقول البصري: "أدركت أقواما كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصا على دراهمكم ودنانيركم".

وهذا سعد بن معاذ رضي الله عنه يسلم وعمره ثلاثون عاما ويموت وعمره سبعة وثلاثون عاما، مدة إسلامه سبع سنوات ولكن يوم موته يحظى بحفاوة وتقدير أهل السماء والأرض، لأنه منذ أسلم عرف قيمة الوقت فشغله بطاعة الله.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ" (متفق عليه).

الحفاظ على الوقت

الوقت أو الزمن كالمال، كلاهما يجب الحرص عليه والاقتصاد في انفاقه وتدبير أمره، وإن كان المال يمكن جمعه وادخاره بل وتنميته، فإن الزمن عكس ذلك فكل دقيقة ولحظة ذهبت لن تعود إليك أبدا ولو أنفقت أموال الدنيا أجمع.

وإذا كان الزمن مقدرا بأجل معين وعمر محدد، لا يمكن أن يقدم أو يؤخر وكانت قيمته في حسن إنفاقه، وجب على كل إنسان أن يحافظ عليه ويستعمله أحسن استعمال، ولا يفرط في شيء منه قل أو كَثُر.

عناية القرآن بالوقت

الوقت هو الحياة والعاقل هو الذي يعرف قدر وقته وشرف زمانه فلا يضيع ساعة واحدة من عمره إلا في خير للدنيا والآخرة، ولذلك عني القرآن بالوقت، من ذلك قسم الله جل وعلا بالوقت وبمختلف أطواره وأجزائه مثل الليل والنهار والفجر والضحى والعصر كما في قوله تعالى: "وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى"، "وَالْفَجْرِ، وَلَيَالٍ عَشْرٍ"، "وَالْعَصْرِ، إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ".

فأقسم الله تبارك وتعالى بالزمن مما يدل على أهمية الحفاظ عليه وشؤم تضييعه.

عناية السنة بالوقت

أما السنة المطهرة فالبيان فيها واضح وصريح لتأكيد قيمة الوقت، كما في الحديث الصحيح عن أبي بردة الأسلمي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع (فذكر منها)، عن عمره فيما أفناه".

وهكذا يسأل الإنسان عن عمره عامة وعن شبابه خاصة (كما في رواية أخرى) والشباب جزء من العمر ولكن له قيمة باعتباره سن الحيوية الدافقة والعزيمة الماضية، ومرحلة القوة بين ضعفين: ضعف الطفولة، وضعف الشيخوخة.

وروى البخاري وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ".

قال الإمام ابن الجوزي: "قد يكون الإنسان صحيحا ولا يكون متفرغا لشغله بالمشاغل، وقد يكون مستغنيا ولا يكون صحيحا، فإذا اجتمعا فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون، وتمام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة، فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط، ومن استعملهما في معصية الله فهو المغبون لأن الفراغ يعقبه الشغل، والصحة يعقبها السقم، ولو لم يكن إلا الهرم لكفى، قال المحقق الطيبي: "ضرب النبي للمكلف مثلا بالتاجر الذي له رأس مال، فهو يبتغي الربح من سلامة رأس المال، فطريقه في ذلك أن يتحرى فيمن يعامله، ويلزم الصدق والحذق لئلا يغبن، فالصحة والفراغ رأس المال".

الوقت هو محل العبادة

إن شعائر الإسلام كلها مرتبطة بالوقت! فالوقت هو محل العبادة، ولقد جاءت الفرائض الإسلامية والآداب الإسلامية، تثبت هذا المعنى الكبير: قيمة الوقت والاهتمام بكل مرحلة منه وكل جزء فيه وتوقظ في الإنسان الوعي، والانتباه إلى أهمية الوقت، فحينما يتصدع الليل ويسفر نقابه عن وجه الفجر، يقوم داعي الله يملأ الآفاق، ويسكب في مسمع الزمان، منبها للغافلين، موقظا للنائمين "حي على الصلاة، حي على الفلاح، الصلاة خير من النوم" فيلبي المؤمنون النداء مشيا في الظلمات، تعلوهم السكينة بغيتهم إعمار بيوت الله بالذكر والصلاة.

وحيث يقوم قائم الظهيرة، وتزول الشمس عن كبد السماء ويغرق الناس في لجج المشاكل الدنيوية، والمتاعب اليومية، ويعود المنادي ينادي مرة ثانية، مكبرا مهللا، شاهدا لله بالوحدانية ولنبيه محمد بالرسالة، داعيا إلى الصلاة والفلاح.

وهناك ينتزع الناس من براثن أعمالهم، و"روتين" حياتهم، ليقفوا بين يد خالقهم ورازقهم ومدبر أمرهم، دقائق معدودات، يتخففون فيها من غلواء التصارع على المادة، والاستغراق في طلب الدنيا وذلك في صلاة وسط النهار: صلاة الظهر، وحين يصير ظل كل شيء مثله، وتبدأ الشمس تميل للمغيب، وينادي المنادي مرة ثالثة داعيا إلى صلاة العصر.

وحين يختفي قرص الشمس، ويغيب وجهه من الأفق، وينادي داعي الله مرة رابعة مؤذنا لصلاة آخر النهار وأول الليل: صلاة المغرب.

وحين يغيب الشفق، يرتفع الصوت الرباني بالأذان الأخير للصلاة الخاتمة بيوم المسلم: صلاة العشاء.

وبهذا يفتتح يومه بالصلاة، ويختتمه بالصلاة، وهو بين الصلاتين: الفجر والعشاء، على موعد دائم متجدد مع الله كلما دار الفلك، واختلف الليل والنهار.

الوقت حجة على صاحبه يوم القيامة

سيعلم الخاسرون الذين خسروا أنفسهم وضيعوا أوقاتهم وأعمالهم سيعلمون وكأنهم ما لبثوا في هذه الدنيا إلا ساعة:

"قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ، قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلْ الْعَادِّينَ، قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ، أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ، فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ" المومنون 112-118.

أخي، أختي! يتمنى الكافرون لو يعودون إلى هذه الحياة الدنيا ليستغلوا نعمة الوقت التي أنعم الله عز وجل بها على عباده.. ليستغلوا نعمة الوقت في طاعة الله عز وجل والازدياد من العمل الصالح الذي ينجي صاحبه -بإذن الله- من النيران وتجعله يفوز بالجنان.

الوقت كالسيف

يقول ابن الجوزي في صيد الخاطر:

رأيت العادات قد غلبت الناس في تضييع الزمان، وكان القدماء يحذرون من ذلك.

ودخلوا على رجل من السلف فقالوا: لعلنا شغلناك، فقال: أصدقكم؟ كنت أقرأ فتركت القراءة لأجلكم.

اعلم أن الزمان أشرف من أن يضيع منه لحظة، فإن في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من قال سبحانه الله العظيم وبحمده، غرست له نخلة في الجنة".

فكم يضيع الآدمي من ساعات يفوته فيها الثواب الجزيل، وهذه الأيام مثل المزرعة، فكأنه قيل للإنسان: كلما بذرت حبة خرجنا لك ألف كَرْ، فهل يجوز للعاقل أن يتوقف في البذر ويتوانى؟

والذي يعين على اغتنام الزمان الانفراد والعزلة مهما أمكن، والاختصار على السلام أو حاجة مهمة لمن يلقى، وقلة الأكل، فإن كثرته سبب النوم الطويل وضياع الليل، ومن نظر في سير السلف وآمن بالجزاء بان له ما ذكرته .أنظر صيد الخاطر (545-546).



"صدر بحمد الله كتاب الحجاب"